أَسَالِيْبُ اَلْحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ فِي سُوْرَةِ اَلْبَقَرَةِ؛

دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ

د. تنوير أحمد هندي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان

اَلْمُقَدِّمَـةُ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْغَنِيِّ اَلْحَمِيْدِ، وَالصَّلَاةُ والسَّلامُ عَلَى مَنْ كَانَ يُعْطِي عَطاءَ مَنْ لَا يَخْشَى اَلْفقرَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ وَمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ..وَبَعْدُ:

فَإِنَّ اَلْمَالَ قِوَامُ الحياةِ، لِذَا أَوْلَتْ الشَّرِيْعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ مسْأَلَةَ إِنْفَاقِهِ أَهَمِيَّةً بَالِغَةً، فَنَظَّمَتْ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةَ تَنْظِيمًا دَقِيْقًا.. تَنْظِيْمًا إِلهِيًّا لَمْ تستطِعْ أَنْ تَرْقَى إليه – عَلَى مَرِّ اَلْعُصُوْرِ- أيُّ نَظَرِيَّةٍ إِقْتَصَادِيَّةٍ مَهْمَا كَانَتْ دَرَجَةُ نُضْجِهَا وَوَعْيِهَا بِقِيْمَةِ اَلْمَالِ، وَحَجْمِ حَاجَةِ البَشَرِيَّةِ إليه. فَحَدَّدَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ اَلْعَظِيْمَةُ اَلْحَلَالَ وَاَلْحَرَامَ مِنْ سُبُلِ اكْتِسَابِ اَلْمَالِ، وَكَذَلِكَ مَصَارِفِهِ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.. لَقَدْ بَيَّنَتْ حَتَّى اَلْمُسْتَحَبِّ وغير اَلْمُستحَبِّ مِنْ اَلْمَصَادِرِ وَاَلْمَصَارِفِ.وَجَاءَ اَلرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ هَذِهِ الشَّرِيْعَةِ اَلْغَرَّاءِ يُنَظِّمُ عَلَاقَةَ اَلْمُسْلِمِ بِمَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْوَالٍ – نَقْدِيَّةٍ كَانَتْ أَمْ عَيْنِيَّةٍ – حَتَّى لَا تَتَمَتَّعُ فِئَةٌ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ أَمْوَالٍ، وَتَتَأَلَّمُ فِئَاتٌ أُخْرَى مِنْ شَظَفِ اَلْعَيْشِ.

إِنَّ الإِسْلَامَ يَنْظِرُ إلى اَلْمَالِ نَظْرَةً عَمِيْقَةً صَادِقَةً.. إِنَّهُ نَعْمَةٌ مِنْ اللهِ جَلَّ وَعَلا، يَهبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَتْرُكُ لِلشَّرِيْعَةِ تَبْصِيرَ هَذَا اَلْمَوْهُوْبِ بِحَقِيْقَةِ هَذِهِ اَلْهِبَةِ اَلَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ..إِنَّهَا لَيْسَتْ حِكْرًا عَلَيْهِ، بَلْ إِنَّهُ سَيُحَاسَبُ حِسَابًا عَسِيْرًا إِنْ اِعْتَبَرَهَا كَذَلِكَ؛لِذَا عليه أَنْ يكونَ وَاعِيًا بِهَذِهِ اَلْحَقِيْقَةِ، مُحْسِنًا فِي التَّصَرُّفِ، فَيَعْرِفُ حُدُوْدَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، فَيُؤَدِّي حَقَّ هَذِهِ اَلنِّعْمَةِ؛ لِتَتَحَقَّقَ اَلْعَدَالَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ فِي اَلْمُجْتَمَعِ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ لَمْ تَسُدْ أَمْوَالُ الزَّكَاةِ حَاجَةَ اَلْمُجْتَمَعِ، وَتُحَافِظْ عَلَى عِزَّتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَلَمْ تَصِلْ بِكُلِّ فَرْدٍ إِلَى اَلْكِفَايَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ مِنْ تَوْفِيْرِ أَسَاسِيَّاتِ اَلْحَيَاةِ، فَعَلَى اَلْمُسْلِمِ اِلارْتِقَاءُ إِلَى مُسْتَوَى عَالٍ مِنْ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى شَهْوَةِ حُبِّ اَلْمَالِ، وَكَرَاهَةِ إِخْرَاجِهِ، لِيُنْفِقَ عَلَى قَدْرِ نَفَقَةٍ تَطَوُّعِيَّةٍ وَسِعَتِهَا، وَهُو بِهَذَا يَحْصِدُ فَوَائِدَ عَدِيْدَةً؛ أَخْبَرَنَا عَنْهَا اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيْمُ فِي آيَاتٍ كَثِيْرَةٍ، نَجِدُ أَكْثَرَهَا فِي سُوْرَةِ (اَلْبَقَرَةِ).

وَلَقَدْ اِسْتَرْعَى اِنْتِبَاهِي وُرُوْدُ عَدَدٍ مِنْ الآيَاتِ فِي سُوْرَةِ (اَلْبَقَرَةِ) عَنْ اَلصَّدَقَةِ لَمْ يَرِدْ مِثْلُهَا فِي أَيَّةِ سُوْرَةٍ أُخْرَى؛ لِذَا رَأَيْتُ تَسْلِيْطَ الضُّوْءِ عَلَيْهَا، وَزِيَادَةَ اَلتَّمَعُّنِ فِيْهَا؛ لِمَعْرِفَةِ الأَسَالِيْبِ اَلْبَلَاغِيَّةِ اَلْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الآيَاتِ لِلْحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ، وَهَذَا – كَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا – لِمَا لِلصَّدَقَةِ مِنْ أَهَمِيَّةٍ فِي اَلنِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ الإِسْلَامِيِّ، فَهِيَ تَعُوْدُ بِفَائِدَةٍ عَظِيْمَةٍ عَلَى اَلْمُتَصَدِّقِ، وَعَلَى اَلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ، فَرْدًا كَانَ أَمْ مُجْتَمَعًا.

كَمَا تَكْمُنُ أَهَـمِيَّةُ هَذَا اَلْبَحْـثِ أَيْضًـا فِـي أَنَّـهُ بَـحْثٌ فِـي اَلْبَلَاغَـةِ اَلْقُرْآنِيَّـةِ، وَقَدْ عَنْوَنْتُ هَذَا اَلْبَحْثَ بـــ**«أَسَـالِيْبُ اَلْحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ فِي سُوْرَةِ اَلْبَقَرَةِ؛دِرَاسَـةٌ بَلَاغِيَّةٌ»**، وَجَعَلْتُهُ فِـي: تَـمْهِيْدٍ وَمَبْحَثَيْنِ ثُـمَّ اَلْـخَاتِـمَةِ، على النَّحْوِ الآتِـي:

- **اَلتَّـمْهِيْدُ**: بَيْنَ يَدَي سُوْرَةِ اَلْبَقَرَةِ وَالتَّعْرِيْفِ بِالصَّدَقَةِ.
- **اَلْمَبْحَثُ اَلأَوَّلُ**: أَسَالِيْبُ اَلْـحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ وَبَيَانُ آدَابِـهَا.
- **اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي**: أَسَالِيْبُ اَلتَّحْذِيْرِ مِنْ مَنْعِ اَلصَّدَقَةِ وَالتَّنْفِيْرُ مِـمَّا يُبْطِلُ أَجْرُهَا.
- **اَلْخَاتِمَةُ**: وَفِيْهَا أَهَمُّ اَلنَّتَائِجِ.
- **ثَبْتُ اَلْمَصَادِرِ وَاَلْمَرَاجِعِ**.

وَاعْتَمَدْتُ فِـي دِرَاسَتِـي هَذِه عَلَى**"اَلْمَنْهَجِ اَلاسْتِقْرَائِي اَلْوَصْفِي وَالتَّحْلِيْلِـي"**، وَرُبَّـمَا يَرَى اَلْبَعْضُ أَنَّ عُنْوَانَ اَلْبَحْثِ لَيْسَ شَامِلاً لِمُحْتَوَى مَبْحَثَيْهِ، بَلْ يُعَبِّرُ عَنْ مُـحْتَوَى اَلْمَبْحَثِ اَلأَوَّلِ فَقَطْ..فَهُنَـا يُـمْكِنُ اَلْقَوْلُ أَنَّ أَيَّ نَـهْيٍ عَنْ شَـيْءٍ هُوَ أَمْرٌ بِفِعْلٍ ضِدِّهِ، فَعِنْدَمَا يَنْهَى عَنْ اَلْبُخْلِ فَهُوَ يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ، وَعِنْدَمَا يُـحَذِّرُ مِنْ إِبْطَالِ أَجْرِ اَلصَّدَقَةِ فَهُوَ يُرَغِّبُ فِـي حِرْصِ اَلْمُسْلِمِ عَلَى صَفَاءِ صَدَقَتِهِ وَنَقَائِهَا..وَهَذَا مَـا يَـجْعَلُ عُنْوَانَ اَلْبَحْثِ وَافِيًا بِـمَبْحَثَيْهِ مَعَ وَجَازَتِهِ.

وَاللهَ تَعَالَى أَسْـأَلُ أَنْ يَنْفَـعَ بِهَذَا اَلْبَحْـثِ مَـنْ يَشَـاءُ، وَأَنْ يَكُـوْنَ لَبِنَـةَ بِنَـاءٍ، لا مِعْوَلَ هَدْمٍ فِي صَرْحِ مَكْتَبَتِنَا اَلْبَلَاغِيَّةِ اَلعَرَبِيَّةِ، وَمَا حَلَّاه مِنْ إِجَادَةٍ وَتَوْفِيْقٍ فَمِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَمَا شَابَهُ مِنْ نَقْصٍ وَتَقْصِيْرٍ فَمِنْ عِنْد نَفْسِي والشَّيْطَانِ، وَاللهُ مِـنْ وَرَاءِ اَلْقَصْـدِ، وَهُـوَ يَهْـدِي اَلسَّـبِيْلَ، وَإِلَيْـهِ اَلْمَرْجِـعُ وَاَلْمَصِـيْرُ، وَاللهُ وَلِـيُّ اَلتَّوْفِيْق والسَّدَادِ.

اَلتَّمْهِيْدُ: بَيْنَ يَدَي سُوْرَةِ اَلْبَقَرَةِ وَالتَّعْرِيْفِ بِالصَّدَقَةِ.

إِنَّ سُوْرَةَ (اَلْبَقَرَةِ) مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِيْنَةِ اَلْمُنَوَّرَةِ، وَهِيَ "تَضُمُّ عِدَّةَ مَوْضُوْعَاتٍ، وَلَكِنَّ اَلْمِحْوَرَ اَلَّذِي يَجْمَعُهَا كُلَّهَا مُحْوَرٌ وَاحِدٌ مُزْدَوَجٌ، يَتَرَابَطُ اَلْخَطَّانِ اَلرَّئِيْسَانُ فِيْهِ تَرَابُطًا شَدِيْدًا.. فَهِيَ مِنْ نَاحِيَةٍ تَدُوْرُ حَوْلَ مَوْقِفِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ مِنْ اَلدَّعْوَةِ اَلإِسْلَامِيَّةِ فِي اَلْمَدِيْنَةِ، وَاسْتِقْبَالِهِمْ لَهَا، وَمُوَاجَهَتِهِمْ لِرَسُوْلِهَا ﷺ وَلِلْجَمَاعَةِ اَلْمُسْلِمَةِ النَّاشِئَةِ عَلَى أَسَاسِهَا.. وَسَائِرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا اَلْمَوْقِفِ بِمَا فِيْهِ تِلْكَ اَلْعَلَاقَةُ اَلْقَوِيَّةُ بينَ اَلْيَهُوْدِ وَالْمُنَافِقِيْنَ مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ اَلْيَهُوْدِ وَالْمُشْرِكِيْنَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى..وَهِيَ مِنَ النَّاحِيَةِ اَلأُخْرَى تَدُوْرُ حَوْلَ مَوْقِفِ اَلْجَمَاعَةِ اَلْمُسْلِمَةِ فِي أَوَّلِ نَشْأَتِهَا وَإِعْدَادِهَا لِحَمْلِ أَمَانَةِ اَلدَّعْوَةِ وَاَلْخِلَافَةِ فِي اَلأَرْضِ بَعْدَ أَنْ تُعْلِنَ السُّوْرَةُ نُكُوْلَ بني إِسْرَائِيلَ عَنْ حَمْلِهَا وَنَقْضِهِمْ لِعَهْدِ اللهِ بِخُصُوْصِهَا"[1].

فَنَجِدُ هَذِهِ السُّوْرَةَ اَلْعَظِيْمَةَ تُفْتَتَحُ بِذِكْرِ صِفَاتِ اَلأَصْنَافِ اَلثَّلَاثَةِ اَلَّذِيْنَ كَانُوا مُتَوَاجِدِيْنَ فِي ذَلِكَ اَلْعَهْدِ (مُؤْمِنُوْنَ – كُفَّارٌ – مُنَافِقُوْنَ)، وَنَجِدُ ذِكْرَ اَلإِنْفَاقِ فِي صِفَاتِ أَوَّلِ فِئَةٍ مَذْكُوْرَةٍ؛ وَهُمْ (اَلْمُتَّقُوْنَ).. فَهُمْ لَيْسُوا مُؤْمِنِيْنَ وَحَسْبُ، بَلْ اِرْتَقُوا فِي دَرَجَاتِ اَلإِيْمَانِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَرْتَبَةِ اَلْمُتَّقِيْنَ اَلَّذِيْنَ تَعَدَّدَتْ مَحَامِدُهُمْ اَلَّتِي مِنْهَا **﴿اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[البقرة:٣]. إِنَّهُمْ اَلْمُؤْمِنُوْنَ اَلْمُتَّقُوْنَ اَلَّذِيْنَ يُطَبِّقُوْنَ مَنْهَجَ اللهِ – جَلَّ وَعَلَا – فِي الأَرْضِ، وَيُدْرِكُوْنَ حَقِيْقَةَ الأَمْوَالِ اَلَّتِي بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ.. عَلَى نَقِيْضِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ اَلَّذِيْنَ أُمِرُوا بِذَلِكَ لَكِنَّهُمْ قَابَلُوْهُ بِالإِعْرَاضِ:**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾** [البقرة:٨٣].

وَأُعِيْدَ لَهُمْ اَلأَمْرُ بِالإِيْمَانِ بِاللهِ، وَالتَّصْدِيْقِ بِخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الدِّيْنِ اَلإِسْلَامِيِّ اَلْحَنِيْفِ، لَكِن لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ اِسْتِجَابَةً:**﴿ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** [البقرة: ٤١ -٤٣].وَرَغْمَ أَنَّهُ ذُكِرَ فِي أَوَّلِ السُّوْرَةِ أَنَّ الإِنْفَاقَ مِنْ صِفَاتِ اَلْمُتَّقِيْنَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْتَفَ بِذَلِكَ، بَلْ أُعِيْدَ اَلأَمْرُ بِهِ - سَوَاءً أَكَانَ فَرِيْضَةً (اَلزَّكَاةَ) أَوْ تَطَوُّعًا (اَلصَّدَقَةَ) – مِرَارًا وَتِكْرَارًا. وَهَذَا اَلأَمْرُ يَتَّفِقُ مَعَ مَقْصَدِ السُّوْرَةِ فِي بَيَانِ اَلْمَنْهَجِ اَلرَّبَّانِي اَلَّذِي يَجِبُ أَنْ تَسِيْرَ وِفْقَهُ اَلْجَمَاعَةُ اَلْمُسْلِمَةُ، وَاَلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَسَّخَ فِي النُّفُوْسِ، وَتَعِيَهُ اَلأَذْهَانُ وَالْقُلُوْبُ.

---

[1] في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط ١٧، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ (٢٨/١).

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَسَالِيْبُ الآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيْهَا ذِكْرُ الصَّدَقَةِ، مِنْ حَثٍّ وَتَرْغِيْبٍ فِيْهَا، أَوْ تَرْهِيْبٍ مِنْ مَنْعِهَا أَوْ إِبْطَالِ الأَجْرِ الْحَاصِلِ مِنْهَا، وَذَلِكَ لأَنَّ"الْمَالَ كَانَ وَلَا يَزَالُ مُنْيَةَ النَّفْسِ وَمَنَاطَ الرَّجَاءِ، فَالتَّنَازُلُ عَنْ بَعْضِهِ عَنْ سَمَاحِ مُرْتَاحٍ يَحْتَاجُ إِلى دَخِيْرَةٍ خُلُقِيَّةٍ فَذَّةٍ، يَنْدُرُ أَنْ تُتَاحَ لِغَيْرِ الصَّفْوَةِ مِمَّنْ جَمَّلَهُمْ اللهُ بِالنُّبْلِ وَالإِيْثَارِ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ بِالصَّدَقَةِ عَامٌّ لَا يَخُصُّ هَذِهِ الصَّفْوَةَ الْمُخْتَارَةَ الَّتِي تَبْذُلُ عَنْ سَمَاحٍ وَارْتِيَاحٍ، وَهِيَ بَعْدُ مِنْ الْقِلَّةِ الْقَلِيْلَةِ جِوَارَ الْكَثْرَةِ الْكَاثِرَةِ بِمَنْزِلَةِ الشَّعْرَةِ السَّوْداء مِنْ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ، فَلَا بُدَّ مِنْ حَثٍّ زَاجِرٍ لِلأَنْفُسِ الشَّحِيْحَةِ الَّتِي تَعُدُّ الْمَالَ حِرْزَهَا الْحَرِيْزَ، وَرُوْحَهَا الْغَالِيَةَ الَّتِي لَا تَكَادُ تَتَنَازَلُ عَنْهَا إِلَّا إِذَا أُجْبِرَتْ عَلَى فِرَاقِ الْحَيَاةِ، تِلْكَ حَقِيْقَةٌ يَعْلَمُهَا الْبَارِيء الْمُصَوِّرُ مِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الَّتِي قَالَ تَعَالى عَنْهَا فِي بَعْضِ مَا قَالَ**﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾** [الفجر:١٧ -٢٠].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ:**﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** [العاديات:٦-٨].

فَلَا بُدَّ مِنْ أَجْرَاسٍ تُصَلْصِلُ لِتَقْرَعَ الْقُلُوْبَ، فَتَحِيْدَ بِهَا عَنْ الشُّحِّ إِلى الإِنْفَاقِ"[1]، هَذِهِ الأَجْرَاسُ الْمُصَلْصَلَةُ الْمَذْكُوْرَةُ هُنَا هِيَ الأَسَالِيْبُ الْبَيَانِيَّةُ الْمُتَنَوِّعَةُ وَالطَّرَائِقُ الْبَلَاغِيَّةُ الْمُتَعَدِّدَةُ الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ فِي آيَاتِ هَذِهِ السُّوْرَةِ الْكَرِيْمَةِ؛ لِتُحَقِّقَ الْهَدَفَ الْمُبْتَغَى مِنْ الْبَذْلِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اللهِ.

وَالآنَ نَسْتَعِيْنُ بِاللهِ وَبِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لِلْبَدْءِ بِذِكْرِ هَذِهِ الطَّرَائِقِ وَتِلْكَ الأَسَالِيْبِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الآيَاتِ؛

لِلْوُصُوْلِ إِلَى تَحْقِيْقِ الْهَدَفِ الْمُرَادِ.

(١) البيان القرآني، د.محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ط٢،بيروت، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص٧٥).

اَلْمَبْحَثُ اَلأوَّلُ
أسَالِيْبُ اَلْحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ وَبَيَانُ آدَابِهَا:

اَلْأَسَالِيْبُ اَلْخَبَرِيَّةُ:[1]

تُسْتَخْدَمُ اَلْجُمَلُ اَلْخَبَرِيَّةُ فِي اَلْحَثِّ عَلَى اَلصَّدَقَةِ، وَتَأْتِي في سِيَاقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا:

- مَدْحُ اَلْمُنْفِقِيْنَ: قَالَ تَعَالَى:**﴿ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [البقرة:٣].

جَاءَتْ هَذِهِ اَلآيَةُ عِنْدَ تِعْدَادِ صِفَاتِ اَلْمُتَّقِيْن وَمَدْحِهِمْ بِهَا، فَهُمْ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى اَلنَّفْس وَعِظَمِ حُبِّهَا لِلْمَالِ وَحِرْصِهَا عَلَى اَلاحْتِفَاظِ بِهِ، بِمَا تَحْمِلُهُ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ تَقْوَى، وَبِمَا تُعَمِّقُ فِي قُلُوْبِهِمْ مِنْ إِيْمَانٍ، إِلَّا أَنَّ اَلْمُشَرِّعَ اَلْحَكِيْمَ اَلْعَالِمَ بِجِبْلَةِ اَلإِنْسَانِ وَمَدَى حُبِّهِ لِلْمَالِ وَأَنَّ اَلْحَيَاةَ يَصْعُبُ اِسْتِقَامَتُهَا دُوْنَهُ، نَجِدَهُ دَقِيْقًا فِي تَعْبِيْرِهْ عَنْ هَذِهِ اَلْمَيْزَةِ فِي اَلْمُتَّقِيْنَ، فَاخْتَارَ اَلتَّعْبِيْرَ بِـــ(مِنْ) اَلتَّبْعِيْضِيَّةِ، فَجَاءَ عَلَى هَذِهِ اَلصُّوْرَةِ:**﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [البقرة:٣]؛ أي: مِنْ بَعْضِ مَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ، وَهَذَا تَمَاشِيًّا مَعَ اَلطَّبِيْعَةِ اَلْبَشَرِيَّةِ، وَحَاجَتِهَا لِمَا يَسُدُّ مُتَطَلَّبَاتِهَا، وَإِقَامَةَ اَلْحَيَاةِ وَاسْتِمْرَارَهَا؛ لِذَلِكَ يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ أَنَّ "فِي اَلْمَجِيْءِ بِمِنْ اَلتَّبْعِيْضِيَّةِ هَا هُنَا نُكْتَةٌ سِرِيَّةٌ هِيَ اَلإِرْشَادُ إِلَى تَرْكِ اَلإِسْرَافِ"[2]، فَالنَّهيُ عَنْ اَلإِسْرَافِ يَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى اَلإِنْفَاق في وُجُوْهِ اَلْحَلَال، فَمِنْ اَلْوَاجِبِ اَلاعْتِدَالُ فِي كُلِّ

---

(1) اَلْخَبَرُ هُوَ: مَا اِحْتَمَلَ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ لِذَاتِهِ.
وَيُلْقَى لِأَحَدِ غَرَضَيْنِ:
١- إِفَادَةِ اَلْمُخَاطَبِ اَلْحُكْمَ اَلَّذِي تَتَضَمَّنَتْهُ اَلْجُمْلَةُ، وَيُسَمَّى بِفَائِدَةِ اَلْخَبَرِ.
٢- إِفَادَةِ اَلْمُخَاطَبِ أَنَّ اَلْمُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بِهَذَا اَلْحُكْمِ، وَيُسَمَّى بِلَازِمِ اَلْفَائِدَةِ.
وَرُبَّمَا لَا يَقْصِدُ مِنْ إِلْقَاءِ اَلْخَبَرِ أَحَدَ دَيْنَكَ اَلْغَرَضَيْنِ، بَلْ يُلْقَى لِأَغْرَاضٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ اَلْكَلَامِ؛ مِثْلُ: اَلتَّحَسُّرِ، وَالأَسَفِ، وَالاسْتِرْحَامِ، وَالاسْتِعْطَافِ، وَالتَّوْبِيْخِ، وَالوَعْظِ، وَالإِرْشَادِ ... إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأَغْرَاضِ..
وَيُرَاعَى فِي إِلْقَاءِ اَلْخَبَرِ حَالَ اَلْمُتَلَقِّي، اَلَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:
١-خَالِي الذِّهْنِ مِنْ اَلْحُكْمِ وَمِنْ اَلتَّرَدُّدِ فِيْهِ أَوْ اَلشَّكِّ، فَيُلْقَى إِلَيْهِ اَلْكَلَامُ دُوْنَ تَأْكِيْدٍ، وَيُسَمَّى بِالضَّرْبِ (اَلابْتِدَائِي).
٢- مُتَرَدِّدٌ فِي ثُبُوتِ اَلْحُكْمِ وَعَدَمِهِ، فَيُلْقَى إِلَيْهِ اَلْخَبَرُ مُؤَكَّدًا بِمُؤَكِّدٍ وَاحِدٍ؛ لِيُزِيْلَ ذَلِكَ اَلشَّكَّ وَالتَّرَدُّدَ، وَيُسَمَّى بِالضَّرْبِ (اَلطَّلَبِي).
٣- اَلْمُنْكِرُ لِلْحُكْمِ، وَهَذَا يَجِبُ أَنْ يُؤَكَّدَ لَهُ اَلْكَلَامُ بِقَدْرِ إِنْكَارِهِ؛ قُوَّةً وَضَعْفًا، وَيُسَمَّى بِالضَّرْبِ (اَلإِنْكَارِي).
وَالْجَرْيُ عَلَى هَذَا اَلْمَنْهَجِ يُسَمَّى إِخْرَاجُ اَلْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى اَلظَّاهِرِ. وَقَدْ يُلَاحِظُ اَلْمُتَكَلِّمُ اِعْتِبَارَاتٍ أُخْرَى خَفِيَّةً، فَيَخْرُجُ كَلَامَهُ عَلَى اِعْتِبَارِهَا، وَيُسَمَّى ذَلِكَ إِخْرَاجُ اَلْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى اَلظَّاهِرِ؛كَإِنْزَالِ خَالِي اَلذِّهْنِ مَنْزِلَةَ اَلْمُنْكِرِ أَوْ اَلشَّاكِّ اَلْمُتَرَدِّدِ، أَوْ إِنْزَالِ اَلْمُنْكِرِ مَنْزِلَةَ خَالِي اَلذِّهْنِ، وَذَلِكَ لِاعْتِبَارَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ عَدِيْدَةٍ، وَأَغْرَاضٍ بَلَاغِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ.
ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق :د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت،(ص٥٥-٦٠).
(٢) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ط١، ١٤١٤هـ،(٤٢/١).

اَلأُمُوْرِ، قَالَ تَعَالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾** [الإسراء:٢٩].

وَنِسْبَةُ اَلرِّزْقِ إلى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى **﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾**؛ لِتَقْرِيْرِ حَقِيْقَةِ أَنَّهُ لَا رَازِقَ إِلَّا اللهَ جَلَّ في عُلَاهُ.. فَلَا يَصِحُّ أَنْ

تَغِيْبَ هَذِهِ اَلْحَقِيْقَةُ عَنْ اَلذِّهْنِ مُطْلَقًا، حَتَّى لَا يَتَصَوَّرُ اَلْمَرْءُ أَنَّ مَا اِكْتَسَبَهُ إِنَّمَا هُوَ بِكَدِّهِ وَعَمَلِهِ، بَلْ إِنَّ إِرَادَةَ اللهِ – تَعَالى- هِيَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَوْ لَمْ يَكْتُبْ لَكَ اللهُ حُصُوْلَكَ عَلَى رِزْقٍ لَنْ تَنَالَهُ؛ وَإِنْ بَذَلْتَ أَسْبَابَهُ.

وَيُلَاحَظُ تَقَدُّمُ شِبْهِ اَلْجُمْلَةِ وَالصِّلَةِ اَلتَّابِعَةِ لَهَا **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ﴾** عَلَى اَلْعَامِلِ فِيْهَا: **﴿يُنفِقُونَ﴾**؛ لِمُرَاعَاةِ اَلْفَاصِلَةِ[^1]، وَلِلدِّلَالَةِ عَلَى مَكَانَةِ اَلرِّزْقِ فِي نُفُوسِ اَلنَّاسِ، فَبِالرَّغْمِ مِنْ حُبِّ اَلنَّفْسِ لَهُ وَتَمَسُّكِهَا بِهِ إِلَّا أَنَّهَا تَسْمُو فَوْقَ ذَلِكَ وَتُنْفِقُ وَتَبْذُلُ[^2]. وَأَفَادَ اَلتَّعْبِيْرَ بِالْفِعْلِ اَلْمُضَارِعِ (يُنْفِقُوْنَ) تَجَدُّدَ حُدُوْثِ هَذَا اَلْفِعْلِ مِنْهُمْ كُلَّمَا رَزَقَهُمْ اَللهُ رِزْقًا.

وَهَذِهِ اَلْجُمْلَةُ مِنْ اَلضَّرْبِ اَلطَّلَبِي، حَيْثُ اِسْتُخْدِمَ فِيْهَا مُؤَكَّدٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَقْدِيْمُ مَا حَقُّهُ اَلتَّأْخِيرُ؛ لِإِفَادَةِ مَعْنَى عَظِيْمٍ، وَهُوَ مَدْحُ اَلْمُتَّقِيْنَ بِإِنْفَاقِهِمْ مِمَّا رُزِقُوا وَسُمُوُّهِمْ عَلَى شَهَوَاتِ نُفُوْسِهِم مِنْ حُبِّ اَلْمَالِ وَاَلْحِرْصِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ اَلْمَدْحِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[البقرة:٢٧٤]، إِنَّهُ مَدْحٌ لِأُولَئِكَ اَلَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ: **﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾**؛أي: يَعُمُّوْنَ اَلأَوْقَاتَ وَاَلْأَحْوَالَ بِالصَّدَقَةِ،لِحِرْصِهِمْ عَلَى اَلْخَيْرِ، فَكُلَّمَا نَزَلَتْ بِهِمْ حَاجَةُ مُحْتَاجٍ عَجَّلُوا قَضَاءَهَاوَلَمْ يُؤَخِّرُوْهُ، وَلَمْ يَتَعَلَّلُوا بِوَقْتٍ وَلَا حَالٍ[^3].

وَالتَّعْبِيْرُ بِالْفِعْلِ اَلْمُضَارِعِ:**﴿يُنفِقُونَ﴾**؛ دَلِيْلٌ عَلَى اِسْتِمْرَارِهِمْ فِي عَمَلِ هَذَا اَلْفِعْلِ. وَإِضَافَةُ اَلأَمْوَالِ إِلى ضَمِيْرِهِمْ **﴿أَمْوَالَهُم﴾** فِيْهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَمَلُّكِهِمْ لَهَا، وَاَلْمَالِكُ لِلشَّيْءِ يَكُوْنُ مُتَعَلِّقًا بِهِ، حَرِيْصًا عَلَى عَدَمِ اَلتَّفْرِيْطِ فِيْهِ، لَكِنْ رُغْمَ هَذَا نَجِدَهُمْ يُنْفِقُوْنَ مَا يَمْلِكُوْنَ في كُلِّ حِيْنٍ وَلَا يَتَوَقَّفُوْنَ عَنْ هَذَا اَلْعَمَلِ، مُتَغَلِّبِيْنَ عَلَى

[^1]: اَلْفَاصِلَةُ هِيَ:(كَلِمَةُ آخِرُ اَلآيَةِ كَقَافِيَةِ اَلشِّعْرِ وَقَرِيْنَةِ اَلسَّجْعِ). البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، (٥٣/١).

[^2]: ينظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (٢٣٦/١).

[^3]: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣،١٤٠٧هـ (٣١٩/١).

نَوَازِعِهِمْ كَابِحِيْنَ لِشَهَوَاتِهِمْ. وَمِنْ هُنَا نَجِدُ أَنَّ فِي هَذِهِ الإِضَافَةِ مَزِيْدَ مَدْحٍ لَهُمْ وَرَفْعًا لِقَدْرِهِمْ.

وَ"الْبَاءُ فِي **﴿بِاللَّيْلِ﴾** ظَرْفِيَّةٌ، وَانْتِصَابُ **﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾** عَلَى أَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: مُسِرِّيْنَ وَمُعْلِنِيْنَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُمَا حَالَانِ مِنْ ضَمِيْرِ الإِنْفَاقِ عَلَى مَذْهَبِ سِيْبَوَيْهِ، أَوْ نَعْتَانِ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوْفٍ؛ أَيْ: إِنْفَاقًا سِرًّا"[1].

وَلَمَّا جَاءَ تَفْضِيْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى الْعَلَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:**﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[البقرة:** ٢١٧] قُدِّمَ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَالسِّرُّ عَلَى الْعَلانِيَةِ فِي هَذِهِ الآيَةِ،"وَاللَّيْلُ مَظِنَّةُ صَدَقَةِ السِّرِّ، فَقَدَّمَ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَتْ الصَّدَقَةُ فِيْهِ أَفْضَلَ، وَالْحَالَ الَّتِي كَانَتْ فِيْهَا أَفْضَلُ"[2]. وَدَخَلَتْ الْفَاءُ فِي **﴿فَلَهُمْ﴾**؛ لِتَضَمُّنِ الْمَوْصُوْلِ مَعْنَى اسْمِ الشَّرْطِ"[3]، وَقِيْلَ:"وَأُدْخِلَ الْفَاءُ فِي خَبَرِ الْمَوْصُوْلِ؛ لِلتَّنْبِيْهِ عَلَى تَسَبُّبِ اسْتِحْقَاقِ الأَجْرِ عَلَى الإِنْفَاقِ، لِأَنَّ الْمُبْتَدَأَ لَمَّا كَانَ مُشْتَمِلاً عَلَى صِلَةٍ مَقْصُوْدٌ مِنْهَا التَّعْمِيْمُ وَالتَّعْلِيْلُ وَالإِيْمَاءُ إِلَى عِلَّةِ بِنَاءِ الْخَبَرِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَهِيَ**﴿يُنْفِقُوْنَ﴾** صَحَّ إِدْخَالُ الْفَاءِ فِي خَبَرِهِ، كَمَا تَدْخُلُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ؛ لأَنَّ أَصْلَ الْفَاءِ الدَّلالَةُ عَلَى التَّسَبُّبِ، وَمَا دَخَلَتْ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ إِلَّا لِذَلِكَ"[4]. إِذْنْ فَـ"الْفَاءُ رَابِطَةٌ لِلدَّلالَةِ عَلَى سَبَبِيَّةِ مَا قَبْلَهَا لِمَا بَعْدَهَا، وَلِمَا فِي الْمَوْصُوْلِ مِنْ رَائِحَةِ الشَّرْطِ"[5].

وَتَقَدَّمَ الْخَبَرُ **﴿فَلَهُمْ﴾** عَلَى الْمُبْتَدَأِ **﴿أَجْرُهُمْ﴾** لِيُفِيْدَ اخْتِصَاصَهُمْ بِالأَجْرِ الْعَظِيْمِ الَّذِي حَالُهُ أَنَّهُ **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾**، وَقَدْ أَفَادَ هَذَا التَّعْبِيْرُ إِدْخَالَ الشُّعُورِ بِالْقُرْبِ مِنْ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَذَلِكَ الأَجْرُ سَيَكُوْنُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، وَهَذَا مِمَّا يُدْخِلُ الرَّاحَةَ لِلنَّفْسِ، وَيُشْعِرُ بِالسَّعَادَةِ وَالأَمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ.

إِضَافَةً إِلَى أَمْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا **﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾**، وَسَعَادَتِهِمْ فِي الآخِرَةِ **﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**. وَجَاءَتْ هاتان الجملتان اسميتين منفيتين للدلالة على ثبات انتفاء الخوف والحزن لهم ،فيكون في هذا مزيد راحة واطمئنان لهم وسعادة تغمرهم،

---

[1] البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق :صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ ،(٧٠٢/٢). وينظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (١٠٣/٣).

[2] البحر المحيط في التفسير (٧٠١/٢).

[3] المصدر السابق نفسه (٧٠١/٢).

[4] التحرير والتنوير (٧٧/٣).

[5] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية،ط٤، حمص، سورية، ١٤١٥هـ، (٤٢٥/١).

مما يحفز على المزيد من الإنفاق، والبذل، حرصاً منهم على نيل ذلك الأجر، والتمتع بما وعدهم الله به من انتفاء الخوف والحزن عنهم.

لقد أفاد مدح المنفقين والثناء عليهم وبيان ما ينتظرهم من الأجر العظيم حثّ المؤمنين على العطاء والسخاء، ليلتحقوا بهذه الطائفة العظيمة التي يمتدحها الرب تبارك وتعالى ويعدها الأجر الجزيل وحيازة خيري الدنيا والآخرة.

ومن هنا ترى أنه قد أفتتح الحديث عن الإنفاق في هذه السورة الكريمة بمدح المنفقين الذي وجدناه في قوله تعالى: **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[البقرة:٣]، واختتم بهذه الآية التي كنا نتأملها قبل قليل وهي في نفس السياق، سياق مدح المؤمنين المتقين المنفقين .وبين هذه الآية وتلك ترد آيات جليلة في سياقات متعددة وأساليب متنوعة، تصل في نهاية المطاف إلى تحقيق الهدف من الحث على البذل والإنفاق والتأدب بآدابه الشرعية والابتعاد عن الشح والبخل.

ومن السياقات التي جاءت فيها الجمل الخبرية :سياق طمئنة المنفق بذكر عاقبة الخير الذي يعمله، وهذا نجده في قوله تعالى:**﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[البقرة :٢٧٢].**

قيل في سبب نزول هذه الآية: أن المسلمين كانوا يكرهون أن يتصدقوا على الفقراء المشركين، فنزلت هذه الآية.

وقيل أن أناساً من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود، وكانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام، فلمَّا أَسْلَمُوا مَنَعُوا تلك النفقة عنهم؛ رغبة في الجائهم الدخول في الإسلام، فنزلت هذه الآية، فأمرهم ﷺ بالتصدق عليهم كما كانوا سابقاً دون إجبار على الدخول في الإسلام[1].

لقد بينت هذه الآية أن المنفق ليس له أن يطلب مقابلا من المُنفق عليه كما فعل بعض الصحابة – رضي الله عنهم – من منعهم التصدق على غير المسلمين؛ رغبة منهم في أن يلجئ هذا التصرف المُنفق عليهم الدخول في الإسلام كي يحصلوا على تلك الصدقات ،فأوضحت الآية أن الهداية بيد الله – تبارك وتعالى -،وأن مثل تلك الأعمال من بعض البشر ليست سبباً لاهتداء الآخرين **﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾**

وبينت الآية كذلك أن نفقة المنفق في حقيقة الأمر لا يعود نفعها إلا على نفسه **﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾** وأنه حين يخرج صدقته ينبغي أن يتوجه قصده

---

[1] ينظر:أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح،الدمام،السعودية، ط١٤١٢،٢هـ/١٩٩٢م، (ص٨٩- ٩٠).

إلى الله ﷻ ولا يوزع مقاصده هنا وهناك **﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ﴾**.ثم يطمئن تبارك وتعالى المنفق المبتغي وجهه تعالى أن أجره موف له دون نقصان: **﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾**؛أي: يوفر جزاؤه مضاعفاً، وفي هذا وفيما قبله قطعُ عذرهم في عدم الإنفاق ،إذ الذي ينفقونه هو لهم حيث يكونون محتاجين إليه ،فيوفونه كاملاً موفراً"[1] .

ويلاحظ أنه أستعمل في الآية أسلوبي الشرط والاستثناء، فجاء أسلوب الشرط في قوله تعالى:**﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ﴾**؛ليعلمهم أن النفع العائد من الصدقات هو عائد على أنفسهم، وفي قوله تعالى: **﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾**؛لطمئنتهم بأن أجر صدقاتهم يوفى إليهم من غير نقصان.

أمَّا أسلوب الاستثناء فجاء في قوله تعالى:**﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ﴾**؛ ليرشدهم إلى أنهم حين يتصدقون عليهم قصر نيتهم على ابتغاء وجه الله تعالى بصدقاتهم ،وألا يبتغوا بها أي مقصد آخر.

ومن هنا يتَّضح أنَّ استعمال أسلوب الشرط جاء في المرتين لسببٍ واحدٍ، وهو ترسيخ وقوع نفع تلك الصدقات على المتصدق في الدنيا والآخرة .بينما أفاد أسلوب الاستثناء القصر، فعلى المتصدق التنبه إلى نيته عند إخراج صدقته، فلا يكون لها إلا مقصد واحد وهو وجه الله –تبارك وتعالى - ،فتكون نيته مقصورة على هذا المقصد دون غيره .

ونجد الجمل الخبرية أيضاً في سياق طلب التحري عن أصحاب الحاجة من المؤمنين ممن يخفي أمرهم. **﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٧٣]. قيل عن هذه الآية أنها تتمة للآية التي قبلها – الآية التي كنا بصدد تحليلها في السياق السابق – التي ورد فيها قوله تعالى:**﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ﴾**[البقرة:٢٧٢]. فهي "بيان من الله ﷻ عن سبيل النفقة ووجهها.ومعنى الكلام :وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ،تنفقون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله، واللام التي في (الفقراء) مردودة على موضع اللام في (فلأنفسكم) ،كأنه قال:**﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾**؛يعني به: وما تتصدقوا به من مال

[1] البحر المحيط في التفسير (٦٩٦/٢).

فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، فلمَّا اعترض في الكلام بقوله ﴿**فَلِأَنفُسِكُمْ**﴾ فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت إعادتها في قولـه:﴿ **لِلْفُقَرَاءِ**﴾؛ إذ كان الكلام مفهوماً معناه"[1].وقيل:"قَوْلُهُ:﴿**لِلْفُقَرَاءِ**﴾ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ:﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ**﴾ أَوْ بِمَحْذُوفٍ: أي: اجْعَلُوا ذَلِكَ لِلْفُقَرَاءِ، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أيْ: إنْفَاقُكُمْ لِلْفُقَرَاءِ"[2].

وأمْرٌ آخَرُ يُلاحَظُ هُنَا.. هُوَ أنَّهُ قَدْ أبَاحَ لِلْمُسْلِمِيْنَ الإنْفَاقَ عَلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ أصْحَابِ الْقَرَابَةِ أو الْمُصَاهَرَةِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ، وَعَدَمَ رَبْطِ ذَلِكَ بِإسْلامِهِمْ، فَكَانَ مَنْ بَابِ أوْلَى الْبَحْثُ عنْ الْمُحْتَاجِيْنَ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ الإسْلامِي وَالتَّحَرّي عَنْ حَالِهِمْ، فَكَمْ مِنْ مُحْتَاجٍ عَفِيْفِ النَّفْسِ لا يُظْهِرُ حَاجَتَهُ وَلا يَتَعَرَّضُ لِمَسْأَلَةِ النَّاسِ وَيَخْفَى عَلَى مَنْ حَوْلَهُ أمْرَهُ.

﴿ **الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ**﴾؛ أي: أنَّـهُمْ حَصَرُوا أنْفُسَهُمْ في سَبِيْلِ اللهِ لِلْغَزْوِ، فَلا يَسْتَطِيْعُوْنَ تَقَلُّبًا في الأرْضِ وَسَفَرًا في الْبِلادِ؛ اِبْتِغَاءَ الْمَعَاشِ وَطَلَبَ الْمَكَاسِبِ. أو هُمْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِيْنَ الَّذِيْنَ حَصَرَهُمْ الْمُشْرِكُوْنَ في الْمَدِيْنَةِ وَلَمْ يَعُوْدُوا قَادِرِيْنَ عَلَى الْعَوْدَةِ لِمَكَّةَ لِلاسْتِفَادَةِ مِمَّا كَانُوا يَمْلِكُوْنَ هُنَاكَ.[3]

وَبَعْدُ، فَهَذَا يُذَكِّرُ مِنْ أحْوَالِهِمْ مَا يَدَلُّ عَلَى رِفْعَةِ نُفُوْسِهِمْ وَعَدَمِ تَعَرُّضِهِمْ لِلْمَسْأَلَةِ؛ مَدْحًا لَهُمْ وَثَنَاءً عَلَيْهِمْ، مِمَّا جَعَلَهُمْ مُسْتَحِقِّيْنَ لِلْبَحْثِ عَنْهُمْ وَإعْطَائِهِمْ مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُمْ، حِفْظًا لِكَرَامَتِهِمْ وَعَدَمَ إسْقَاطِ مَكَانَتِهِمْ: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾؛أي:"يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ بِأَمْرِهِمْ وَحَالِهِمْ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، وَتَرْكَهُمْ التَّعَرُّضَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ صَبْرًا مِنْهُمْ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ".[4] وَ"التَّعَفُّفِ: تَكَلُّفُ الْعَفَافِ، وَهُوَ النَّزَاهَةُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ"[5].

وَفِي تَخْصِيْصِ ذِكْرِ هَذَا الْوَصْفِ فِيْهِمْ مَدْحٌ لَهُمْ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ لا يُرِيْقُوْنَ مَاءَ وُجُوْهِهِمْ بِالْمَسْأَلَةِ، لَكِنْ ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ**﴾؛ أي: مَنْ يَتَأَمَّلُ حَالَهُمْ يَرَى فِيْهِ الْفَقْرَ، وَيَبْدُو لَهُ فِي وُجُوهِهِمْ

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري،تحقيق:د.عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر؛د.عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١٤٢٢،١هـ /٢٠٠١م،(٢٢/٥).

[2] فتح القدير (٣٣٦/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٢٤/٥- ٢٥).

[4] المصدر السابق نفسه (٢٦/٥).

[5] التحرير والتنوير (٧٥/٣).

اَلْـجَهْدَ.[1]وَقَوْلُهُ:**﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾**:"اَلإِلْـحَافُ: اَلإِلْـحَاحُ، وَهُوَ اَللُّزُوْمُ، وَأَنْ لَا يُفَارِقُ إِلَّا بِشَيْءٍ يُعْطَاهُ"[2]، لَكِنَّ هَذِهِ اَلصِّفَةَ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُمْ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ اَلْكَلَامِ يُوْحِي بِخِلَافِ ذَلِكَ. لَقَدْ اِسْتَخْدَمَ لِنَفْيِ هَذِهِ اَلصِّفَةِ عَنْهُمْ فَنًّا بَدِيْعًا هُوَ "نَفْيَ اَلشَّيْءِ بِإِيْجَابِهِ"[3].

فَيَظْهَرُ مِنْ اَلْكَلَامِ **﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾**: نَفْيُ اَلإِلْـحَافِ فِي السُّؤَالِ، لَا نَفْيُ السُّؤَالِ، وَاَلْمَنْفِيُّ فِي بَاطِنِ اَلْكَلَامِ حَقِيْقَةٌ نَفْيُ اَلسُّؤَالِ إِلْـحَافًا كَانَ أَوْ غَيْرَ إِلْـحَافٍ،"وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَمَّا وَصَفَهُمْ بِالتَّعَفُّفِ، وَعَرَّفَ عِبَادَهُ أَنَّـهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ مَسْأَلَةٍ بِحَالِ قَوْلِهِ:**﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ﴾**؛وَأَنَّـهُمْ إِنَّـمَا يُعْرَفُـوْنَ بِالسِّـيْمَا، زَادَ عِبَـادَهُ إِبَانَـةً لِـأَمْرِهِمْ وَحُسْـنَ ثَنَـاءٍ عَلَـيْهِمْ؛ بِنَفْـيِ اَلشَّـرَهِ وَالضَّرَاعَةِ اَلَّتِي تَكُوْنُ فِي اَلْمُلِحِّيْنَ مِنْ اَلسُّؤَالِ عَنْهُمْ"[4]،جَاءَ فِي اَلْعُمْدَةِ "لَيْسَ يَقَعُ مِنْهُمْ سُؤَالٌ فَيَقَعُ إِلْحَافًا: أي: هُمْ لَا يَسْأَلُوْنَ أَلْبَتَّهَ"[5].وَفِي هَذِهِ اَلْـجُمْلَةِ أَيْضًا اِسْتِعَارَةٌ، وَسَيَأْتِي اَلْـحَدِيْثُ عَنْهَا لَاحِقًا. وَذُيِّلَتْ اَلآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:**﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْـرٍ فَـإِنَّ اللَّـهَ بِـهِ عَلِـيمٌ﴾**، فَهُـوَ عَلَـيْمٌ بِكُـلِّ مَـا أَحَـاطَ ذَلِـكَ اَلإِنْفَـاقَ مِـنْ مُلَابَسَـاتٍ،كَتَحَرِّي اَلْمُنْفِقِ وَضْـعَ نَفَقَتِـهِ فِـي مَوْضِـعِهَا اَلصَّـحِيْحِ، وَحِرْصِـهِ عَلَـى اَلْبَحْـثِ عَنْ أَصْحَابِ اَلْـحَاجَةِ مِـمَّنْ تَـخَفَى حَالُـهم وَلَـا يُعْرَفُـوْنَ إِلَّا بَعْدَ اَلتَّأَمُّلِ وَالتَّبَصُّرِ،"ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى عَلِيْمٌ بِمَا يُنْفِقُهُ الإِنْسَانُ مِنْ اَلْـخَيْرِ، وَمِقْدَارِهِ، وَكَيْفِيَّةِ جِهَاتِـهِ اَلْمُـؤَثِّرَةِ فِـي تَرَتُّـبِ اَلثَّـوَابِ، فَأَثْنَـى بِالْوَصْـفِ اَلْمُطَّلِـعِ عَلَـى ذَلِـكَ وَهُـوَ: اَلْعِلْمُ"[6]،وَسَأَفْصِّلُ اَلْـحَدِيْثَ عَنْهَا.

وَتَأْتِي اَلْـجُمَلُ اَلْـخَبَرِيَّةُ أَيْضًا فِي سِيَاقِ بَيَانِ آدَابِ اَلصَّدَقَةِ، قَالَ تَعَالَى:**﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ* قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٦٢-٢٦٣].

مِنْ خِلَالِ هَذِهِ اَلآيَةِ يَتَّضِحُ أَنَّ ثَـمَّةَ أَمْرٌ جَلِيْلٌ لَصِيْقٌ بِالصَّدَقَةِ، إِذَا مَا تَـحَقَّقَ اِسْـتَوْفَتْ اَلصَّـدَقَةُ مَـا تَـحْتَاجُ إِلَيْـهِ؛ لِيَنَـالَ صَـاحِبَهَا اَلأَجْـرَ عِنْـدَ رَبِّـهِ وَالأَمْـنَ وَالسَّعَادَةَ..إِنَّهُ يَتَمَثَّلُ فِي عَدَمِ إِتْبَاعِ تِلْكَ اَلنَّفَقَةِ اَلْمَنَّ عَلَى اَلْمُنْفِقِ عَلَيْهِ، وَإِيْذَاءَهُ

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٧/٥).

[2] الكشاف (٣١٨/١).

[3] نفي الشيء بإيجابه هو:أن يثبت الشاعر أو الكاتب شيئًا في ظاهِرِ كَلامِهِ ثُمَّ ينفي ما هو من سببه. ينظر: البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، (٤٧٢/٢).

[4] جامع البيان (٣٠/٥).

[5] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م،(٨١/٢).

[6] البحر المحيط في التفسير (٧٠١/٢).

بِسَبَبِ مَا أَعْطَاهُ. وَعَبَّرَ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ ﴿**يُنْفِقُونَ**﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ حُدُوْثِ هَذَا الْفِعْلِ مِنْهُمْ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلاً، وَهَذَا فِيْهِ ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ وَمَدْحٌ لَهُمْ. وَفِي إِضَافَةِ الأَمْوَالِ إِلَيْهِمْ ﴿**أَمْوَالَهُمْ**﴾ تَدْلِيْلٌ عَلَى الْعَلاقَةِ الْوَثِيْقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ الأَمْوَالِ وَأَصْحَابِهَا، فَهِيَ أَمْوَالُهُمْ هُمْ دُوْنَ غَيْرِهِمْ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ حُبِّهِمْ لَهَا وَتَعَلُّقِهِمْ بِهَا، وَصُعُوْبَةِ فَصْلِهَا عَنْهُمْ؛ لِتُصْبِحَ بَعِيدَةً عَنْهُمْ، يَرَوْنَهَا فِي يَدِ غَيْرِهِمْ. وَرَغْمَ ذَلِكَ هُمْ يُنْفِقُوْنَهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ وَطَاعَةً لَهُ، وَاسْتِجَابَةً لأَمْرِهِ، وَطَمَعًا فِي نَيْلِ الأَجْرِ الْعَظِيْمِ عَلَيْهَا الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. لَكِنَّ الآيَةَ الْكَرِيْمَةَ تَفْصِلُ فِي بَيَانِ حَالِ هَؤُلاءِ الْمُنْفِقِيْنَ الَّذِيْنَ يَسْتَحِقُّوْنَ تِلْكَ الأُجُوْرَ الْعَظِيْمَةَ، إِنَّهُمْ لا يَتْبَعُوْنَ مَا أَنْفَقُوا مِنًّا وَلا أَذًى ﴿**ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً**﴾، فَلا يَحِقُّ لَهُمْ الْمَنُّ عَلَى الْمُنْفَقِ عَلَيْهِم وَإِيْذَاؤُهُمْ بِحُجَّةِ انْتِسَابِ تِلْكَ الأَمْوَالِ إِلَيْهِمْ وَكَوْنِهِمْ أَصْحَابَهَا، فَالْمَالُ فِي حَقِيْقَتِهِ هُوَ هِبَةٌ مِنْ اللهِ، وَرِزْقٌ يَمْنَحُهُ مَنْ يَشَاءُ، فَلَيْسَ لِمَوْهُوْبٍ حَبْسُ تِلْكَ الْهِبَةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلا الامْتِنَانُ عَلَى مَنْ يَمْنَحُهُمْ مِنْهَا.وَلَقَدْ أَفَادَ التَّعْبِيْرُ بِـ(ثُمَّ) هُنَا ﴿**ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً**﴾، مَعَانِيَ عَمِيْقَةً،**قال الزمخشري**:"وَمَعْنَى (ثُمَّ) إِظْهَارُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الإِنْفَاقِ وَتَرْكِ الْمَنِّ وَالأَذَى، وَأَنَّ تَرْكَهَا خَيْرٌ مِنْ نَفْسِ الإِنْفَاقِ"[1]،"يَعْنِي أَنَّ (ثُمَّ) لِلتَّرْتِيْبِ الرُّتَبِي لا لِلْمُهْلَةِ الزَّمَنِيَّةِ، تَرْفِيْعًا لِرُتْبَةِ تَرْكِ الْمَنِّ وَالأَذَى عَلَى رُتْبَةِ الصَّدَقَةِ، لِأَنَّ الْعَطَاءَ قَدْ يَصْدُرُ عَنْ كَرَمِ النَّفْسِ وَحُبِّ الْمَحْمَدَةِ، فَلِلنُّفُوْسِ حَظٌّ فِيْهِ مَعَ حَظِّ الْمُعْطَى، بِخِلافِ تَرْكِ الْمَنِّ وَالأَذَى، فَلا حَظَّ فِيْهِ لِنَفْسِ الْمُعْطِي، فَإِنَّ الأَكْثَرَ يَمِيْلُوْنَ إِلَى التَّبَجُّحِ وَالتَّطَاوُلِ عَلَى الْمُعْطَى. فَالْمُهْلَةُ فِي (ثُمَّ) هُنَا مَجَازِيَّةٌ؛ إِذْ شَبَّهَ حُصُولَ الشَّيْءِ الْمُهِمِّ فِي عِزَّةِ حُصُوْلِهِ بِحُصُوْلِ الشَّيْءِ الْمُتَأَخِّرِ زَمَنُهُ"[2]. وَحَدَّدَ مَا يُرِيْدُ النَّهْيَ عَنْهُ مِمَّا يُبْطِلُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ:﴿**مَنًّا وَلا أَذىً**﴾،فَـ(الْمَنُّ) هُوَ تِعْدَادُ الْعَطَايَا عَلَى الْمُعْطَى، وَ(الأَذَى) تَعْيِيْرُهُ بِمَا يُعْطِيْهِ[3]، وَهَذَا مَا لا يَرْضَاهُ تَعَالَى، وَيُحْبِطُ بِسَبَبِهِ أَجْرَ الصَّدَقَةِ.

فَالَّذِيْنَ يَتَجَنَّبُوْنَ هَذِهِ الْمُحْبِطَاتِ ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾؛ أي: لَهُمْ ثَوَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ عَلَى نَفَقَاتِهِمْ الَّتِي لَمْ يُتْبِعُوْهَا بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، وَهُمْ مَعَ مَا لَهُمْ مِنْ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَقْدِمِهِمْ عَلَى اللهِ وَفُرَاقِهِمْ الدُّنْيَا، وَلا فِي أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلا هُمْ يَحْزَنُوْنَ عَلَى مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا[4].

---

[1] الكشاف (٣١١/١ ، ٣١٢).

[2] التحرير والتنوير (٤٢/٣).

[3] ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق :محمد عبد الله النمر،وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م،(٣٢٦/١).

[4] ينظر: جامع البيان (٦٥٧/٤).

وَلَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيْثُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عِنْدَ تَحْلِيْلِ قَوْلِهِ تَعَالى:﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:٢٧٤].وَيَبْدُو الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا في وُرُوْدِ (فَاءِ) الرَّبْطِ في الأوَّلِ وَعَدَمِ وُجُوْدِهَا في الثَّانِيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ"(الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ) مَبْتَدَأٌ، وَالْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: (لَهُمْ أَجْرُهُمْ) خَبَرٌ، وَلَمْ يُضَمَّنْ الْمُبْتَدَأُ مَعْنَى اِسْمِ الشَّرْطِ، فَلَمْ تَدْخُلْ الْفَاءُ في الْخَبَرِ، وَكَانَ عَدَمُ التَّضْمِيْنِ هُنَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مُفَسِّرَةٌ لِلْجُمْلَةِ قَبْلَهَا، وَالْجُمْلَةُ الَّتي قَبْلَهَا أُخْرِجَتْ مَخْرَجَ الشَّيْءِ الثَّابِتِ الْمَفْرُوْغِ مِنْهُ، وَهُوَ نِسْبَةُ إِنْفَاقِهِمْ بِالْحَبَّةِ الْمَوْصُوْفَةِ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ حُصُوْلِ الأجْرِ الْكَثِيْرِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ كَذَلِكَ، أُخْرِجَ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ فِيْهِمَا مَخْرَجَ الشَّيْءِ الثَّابِتِ الْمُسْتَقِرِّ الَّذِي لَا يَكَادُ خَبَرُهُ يَحْتَاجُ إِلى تَعْلِيْقِ اِسْتِحْقَاقِ بِوُقُوْعِ مَا قَبْلَهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا دَخَلَتْ الْفَاءُ فَإِنَّهَا مُشْعِرَةٌ بِتَرَتُّبِ الْخَبَرِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ بِهِ"[1].

ثُمَّ أَضَافَ مُخْبِراً أَنَّ صُدُوْرَ قَوْلٍ مَعْرُوْفٍ مِنْ شَخْصٍ خَيْرٌ مِنْ تَصَدُّقِهِ صَدَقَةٌ يَتْبَعُهَا بِإِيْذَاءِ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ، فَقَالَ:﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**﴾، فَرَدٌّ جَمِيْلٌ وَدُعَاءٌ طَيِّبٌ مِنْ الْمُعْطِي لِلْمُعْطَى لَهُ وَسَتْرٌ لِحَالِهِ وَمَا عِلِمَ مِنْ حَاجَتِهِ، أَوْ حُصُوْلُ مَغْفِرَةٍ مِنْ اللهِ لَهُ بِسَبَبِ الرَّدِّ الْجَمِيْلِ وَالسَّتْرِ عَلَى صَاحِبِ الْحَاجَةِ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا بِشِكَايَةِ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ وَإِهَانَتِهِ وَشَتْمِهِ[2].

وَأَفَادَ تَنْكِيْرُ (قَوْلٌ مَعْرُوْفٌ) الْعُمُوْمَ، فَالْمُرَادُ هُوَ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ جَمِيْلٍ بَعِيْدٍ عَنْ الْقُبْحِ. وَكَذَلِكَ الأمْرُ فِي (مَغْفِرَةٌ) إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْهَا السَّتْرَ عَلَى السَّائِلِ وَعَدَمَ فَضْحِهِ، فَإِنَّ التَّنْكِيْرَ لِإِفَادَةِ الْعُمُوْمِ. أَمَّا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ (مَغْفِرَةٌ) هُوَ نَيْلُ الْمُتَصَدِّقِ الْمَغْفِرَةَ مِنْ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – جَزَاءً عَلَى صُدُوْرِ الْقَوْلِ الْمَعْرُوْفِ مِنْهُ لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ، فَيَكُوْنُ التَّنْكِيْرُ لِإِفَادَةِ التَّقْلِيْلِ، أي: أَقَلُّ شَيْءٍ يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمُتَصَدِّقُ مِنْ مَغْفِرَةٍ الله ﷻ هُوَ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يُحْرَمُ أَجْرَهَا؛ لِأَذِيَّتِهِ لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ تَنْكِيْرُ (أَذى) فَقَدْ يَكُوْنُ لِلْعُمُوْمِ، وَقَدْ يَكُوْنُ لِلتَّقْلِيْلِ. فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْعُمُوْمَ فَهُوَ لِإِرَادَةِ شُمُوْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِكُلِّ أَذى يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ الْمُتَصَدِّقِ لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ الْغَرَضُ التَّقْلِيْلَ فَلِإِفَادَةِ أَنَّ أَقَلَّ الْقَلِيْلِ مِنْ الأذى يُذْهِبُ عَنْ الصَّدَقَةِ خَيْرِيَّتَهَا وَيُبْطِلُ أَجْرَهَا، وَهَذَا يَجْعَلُ الْمُتَصَدِّقَ حَرِيْصًا كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى عَدَمِ صُدُوْرِ أَيِّ سُلُوكٍ لَوْ كَانَ صَغِيْرًا ضَئِيْلاً يُلْحِقُ بِسَبَبِهِ أَذى لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ..وَفي هَذَا مَا فِيْهِ مِنْ مُرَاعَاةِ مَشَاعِرِ الْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ، وَالْحِرْصِ

---

[1] البحر المحيط في التفسير(٦٥٩/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٦٥٧/٤)،والبحر المحيط في التفسير (٦٦٠/٢).

عَلَى حِفْظِ كَرَامَتِهِ وَعَدَمِ اَلتَّعَرُّضِ لَهُ وَلَوْ بِقَدْرِ ضَئِيْلٍ مِنْ اَلإِهَانَةِ، فَهُوَ إِنْسَانٌ وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا قَدْ كَرَّمَ اَلإِنْسَانَ **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾**[الإسراء: ٧٠]. وَقَدْ يَكُوْنُ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ تَخْصِيْصِهِ بِالذِّكْرِ هُنَا – أي (أذى) – دُوْنَ اَلْمَنِّ.

وَخُتِمَتْ اَلآيَةُ بِتَذْيِيْلٍ بَلِيْغٍ، قَالَ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾**؛أي:"وَاللهُ غَنِيٌّ عَمَّا يَتَصَدَّقُوْنَ بِهِ، حَلِيْمٌ حِيْنَ لَا يُعَجِّلُ بِالعُقُوْبَةِ عَلَى مَنْ يَمُنُّ بِصَدَقَتِهِ مِنْكُمْ وَيُؤْذِي فِيْهَا مَنْ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَيْهِ"[1]. وَسَيَأْتِي اَلْحَدِيْثُ عَنْهَا.

لَقَدْ مَرَّتْ بِنَا بَعْضُ اَلآيَاتِ اَلَّتِي وَجَدْنَاهَا مُذَيَّلَةً بِجُمَلٍ خَبَرِيَّةٍ أَيْضًا..إِنَّ اَلتَّذْيِيْلَ[2] ظَاهِرَةٌ بَارِزَةٌ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيْمِ، لِذَا فَهُوَ يَسْتَحِقُّ وَقْفَةً عِنْدَهُ لِلْوُصُوْلِ إِلَى مَرَامِيهِ وَغَايَاتِهِ؛ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ اَلآيَاتِ، وَمَدى خِدْمَتِهِ لَهَا.مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى:**﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** اَلَّذِي جَاءَ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[البقرة:١٩٥]. فَهُنَا أَمْرٌ بِالإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، يَعْقُبُهُ نَهْيٌ عَنْ إِهْلَاكِ اَلنَّفْسِ، ثُمَّ يَلِيْهِ أَمْرُ بِالإِحْسَانِ اَلَّذِي هُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ اَلطَّاعَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوْبِ اَلإِحْسَانِ فِي كُلِّ اَلأَحْوَالِ مِنْ اَلْحِفَاظِ عَلَى اَلنَّفْسِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، لِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِمَا مِنْ اَلْمَصَالِحِ،كَحِفْظِ اَلدِّيْنِ وَالدِّفَاعِ عَنْ اَلْمُسْلِمِيْنَ.فَجَاءَتْ جُمْلَةُ**﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** لِبَيَانِ اَلْمَقَامِ اَلرَّفِيْعِ لِلإِحْسَانِ، وَتَعْلِيْلِ اَلأَمْرِ بِهِ، فَهُوَ مُوْجِبٌ لِحُبِّ اَللهِ – تَعَالى – اَلَّذِي هُوَ أَسْمَى غَايَةٍ يَسْعَى إِلَيْهَا اَلْمُسْلِمُ.

وَمِمَّا يُوَصِّلُ إِلَى هَذِهِ اَلْغَايَةِ اَلسَّامِيَةِ اَلإِنْفَاقُ فِي سَبِيْلِ اَللهِ وَالإِحْسَانِ فِي هَذَا اَلْعَمَلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَكَذَلِكَ حِفْظُ اَلنَّفْسِ وَعَدَمُ اَلإِلْقَاءِ بِهَا فِي اَلْمَهَالِكِ. وَجَاءَتْ اَلْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةً بِـ(إِنَّ) وَاِسْمِيَّةِ اَلْجُمْلَةِ؛ لِتَقْرِيْرِ حَقِيْقَةِ مَا فِيْهَا مِنْ مَعْنَى وَتَثْبِيْتِه فِي اَلأَذْهَانِ ،حَيْثُ أَنْزَلَ اَلسَّامِعِيْنَ خَالِي اَلذِّهْنِ مِنْ اَلْخَبَرِ مَنْزِلَةَ اَلْمُنْكِرِ، وَهَذَا لِلدِّلَالَةِ عَلَى أَهَمِيَّةِ اَلْخَبَرِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُسْتَقْبَلَ بِالعِنَايَةِ وَالاهْتِمَامِ وَاَلْحِرْصِ عَلَى تَرْسِيْخِ مَضْمُوْنِهِ فِي اَلْعُقُوْلِ وَالنُّفُوْسِ. "أَمَّا (اَلْ) فِي (اَلْمُحْسِنِيْنَ) فَهِيَ لِلاسْتِغْرَاقِ اَلْعُرْفِي، إِذْ اَلْمُرَادُ: هُمْ اَلْمُحْسِنُوْنَ مِنْ اَلْمُؤْمِنِيْنَ"[3]. إِنَّ هَذَا اَلأُسْلُوْبِ

---

[1] جامع البيان (٦٥٨/٤).

[2] **اَلتَّذْيِيْلُ** هُوَ«أَنْ يُذَيَّلَ اَلْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ بَعْدَ تَمَامِ مَعْنَاهُ بِجُمْلَةٍ تُحَقِّقُ مَا قَبْلَهَا، وَتِلْكَ اَلزِّيَادَةُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ لَا يَزِيْدُ عَنْ اَلْمَعْنَى اَلأَوَّلِ وَإِنَّمَا يُؤَكِّدُهُ وَيُحَقِّقُهُ، وَضَرْبٌ يُخْرِجُهُ اَلْمُتَكَلِّمُ مَخْرَجَ اَلْمَثَلِ اَلسَّائِرِ؛ لِيَشْتَهِرَ اَلْمَعْنَى لِكَثْرَةِ دَوَرَانِهِ عَلَى اَلأَلْسِنَةِ».بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،(ص١٥٥).

[3] ينظر: التحرير والتنوير (٣١٦/٢).

فِي اَلتَّعْبِيْرِ، وَهَذِهِ اَلصِّيَغَ اَلَّتِي تَرَكَّبَتْ مِنْهَا اَلْجُمْلَةُ، وَهَذَا اَلاخْتِيَارُ اَلدَّقِيْقُ لِلأَلْفَاظِ جَعَلَ هَذَا اَلتَّذْيِيلَ يَجْرِي مَجْرَى اَلْمَثَلِ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللَّهَ بِهِ عَلِيْمٌ﴾ جاء تذييلًا** لقَوْلُهُ تَعَالى:**﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢١٥].إِنَّ هَذِهِ اَلْجُمْلَةَ اَلشَّرْطِيَّةَ اَلَّتِي ذُيِّلَتْ بِهَا اَلآيَةُ جَاءَتْ مُوْجَزَةً وَمُعَبِّرَةً أَوْفَى تَعْبِيْرٍ .. فَاخْتِيَارُ **﴿تَفْعَلُوا﴾** فِي سِيَاقِ اَلْحَدِيْثِ عَنْ اَلإِنْفَاقِ وَمَصَارِفِهِ، لِلدِّلاَلَةِ عَلَى شُمُوْلِ عِلْمِ اَللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – لِكُلِّ مَا يَعْمَلُهُ اَلإِنْسَانُ؛ بِمَا فِي ذَلِكَ اَلإِنْفَاقُ، وَكُلُّ اَلْمُلاَبَسَاتِ اَلْمُحِيْطَةِ بِهِ. وَتَنْكِيْرُ **﴿خَيْرٍ﴾** لِلْعُمُوْمِ، لِيُوْقِنَ اَلْمُسْلِمُ أَنَّ أَيَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ – بِمَا فِيْهِ اَلإِنْفَاقُ – كَثِيْرًا كَانَ أَمْ قَلِيْلاً؛ فَإِنَّ اَللهَ مُحِيْطٌ بِهِ، عَالِمٌ لَهُ.

وَجَاءَتْ جُمْلَةُ جَوَابِ اَلشَّرْطِ اِسْمِيَّةً وَمُؤَكَّدَةً بِـ(إِنَّ)، وَتَوْسِيْطُ شِبْهِ اَلْجُمْلَةِ (بِهِ) بَيْنَ اِسْمِ (إِنَّ) (اَللهَ) وَخَبَرِهَا (عَلِيْمٌ)؛ لِتَمْكِيْنِ اَلْمَعْنَى فِي نَفْسِ اَلْمُسْلِمِ خَيْرَ تَمْكِيْنٍ، فَيَكُوْنُ هَذَا دَافِعًا لَهُ لِعَدَمِ اِسْتِقْلاَلِ أَيِّ خَيْرٍ يَهِمُّ بِعَمَلِهِ، فَيُكْثِرُ مِنْ فِعْلِ اَلْخَيْرَاتِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلى اَللهِ – تَعَالى- بِمَا يَكُوْنُ فِي مَقْدُوْرِهِ فِعْلُهُ.

وَمِثْلُهَا جُمْلَةُ **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللهَ بِهِ عَلِيْمٌ﴾** اَلَّتِي جَاءَتْ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِيْنَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْئَلُوْنَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اَللهَ بِهِ عَلِيْمٌ﴾**، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ مَقْصَدِهَا، وَسَيَأْتِي اَلْحَدِيْثُ لاَحِقًا عَنْ اَلْفَرْقِ بَيْنَ هَاتَيْنِ اَلْجُمْلَتَيْنِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** جَاءَ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦١].

لَقَدْ خُتِمَتْ هَذِهِ اَلآيَةُ اَلْكَرِيْمَةُ اَلَّتِي حَثَّتْ عَلَى اَلإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اَللهِ؛ مِنْ خِلاَلِ بَيَانِ مِقْدَارِ اَلأَجْرِ اَلَّذِي يَمُنُّهُ تَعَالى لِلْمُنْفِقِ بِهَذِهِ اَلْجُمْلَةِ **﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ﴾** ، إِنَّ اَلآيَةَ ضَرَبَتْ مَثَلاً لِلأَجْرِ اَلَّذِي يُجْزِلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى لِلْمُنْفِقِ فِي سَبِيْلِهِ وَيُضَاعِفُهُ.ثُمَّ اُسْتُؤْنِفَتْ جُمْلَةُ **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾**.لِيَأْتِي خِتَامُ اَلآيَةِ **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**؛أي: وَاسِعٌ فِي عَطَائِهِ، وَفِي مُضَاعَفَتِهِ لِلأَجْرِ، عَالِمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ[1]. وَهِيَ جُمْلَةٌ اِسْمِيَّةٌ، مِنَ اَلضَّرْبِ اَلاِبْتِدَائِي، فَالْمُخَاطَبُوْنَ خَالُو اَلذِّهْنِ مِنْ مَضْمُوْنِ اَلآيَةِ كُلِّهَا، وَاَلَّذِي أُوْجِزَ فِي هَذِهِ اَلْجُمْلَةِ. فَفِي اَلآيَةِ إِخْبَارٌ

[1] ينظر: جامع البيان (٦٥٥/٤).

بِقُدْرَتِهِ تَعَالى عَلى مُضَاعَفَةِ أجْرِ الْمُنْفِقِ في سَبِيْلِهِ إلى سُبْعُمَائَةِ ضِعْفٍ أو يَزْيْدُ، وَفي الْوَقْتِ نَفْسِهِ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةُ وَالزِّيَادَةُ لَا تَكُوْنُ لِكُلِّ مُنْفِقٍ، بَلْ لِمَنْ يَشَاءُ هُوَ وَحْدَهُ، وَهُوَ خَبَرٌ لَمْ يُسْبَقْ لَهُ شَبِيْهٌ فِيْمَا سَمِعُوْهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ الآيَاتِ، فَمَثَلاً في قَوْلِهِ تَعَالى:﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾[البقرة:٢٤٥]، لَمْ يُحَدِّدْ عَدَدَ الأضْعَافِ، بَلْ هِيَ أضْعَافٌ كَثِيْرَةٌ غَيْرُ مَحْدُوْدَةٍ.

وَجَاءَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ ذَائِهَا فِي خِتَامِ قَوْلِهِ تَعَالى:﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٦٨]. وَهُوَ خِتَامٌ تَنَاسَبَ تَمَامًا مَعَ الْمَعَانِي الَّتي وَرَدَتْ في الآيَةِ. فَهُوَ تَعَالى وَاسِعُ الْفَضْلِ يُعْطِي وَيُجْزِلُ وَيَعْفُو وَيَغْفِرُ.. عَلِيْمٌ بِمَا أنْفَقْتُمْ في سَبِيْلِهِ يُحْصِيْهِ لَكُمْ؛ لِيُجَازِيْكُمْ عَلَيْهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَعَلِيْمٌ بِمَنْ أطَاعَهُ وَاتَّبَعَ سَبِيْلَهُ وَعَصَى الشَّيْطَانَ وَخَالَفَ أمْرَهُ. فَأفَادَ هَذَا التَّذْيِيْلُ مَزِيْدَ تَرْغِيْبٍ في اِخْتِيَارِ الله ﷻ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ الْجَزَاءِ وَالْفَضْلِ وَالْخَيْرِ، وَالابْتِعَادِ عَنْ سَبِيْلِ الشَّيْطَانِ؛ ذَلِكَ الْعَدُوُّ الَّذِي يَعْمَلُ جَاهِدًا لِإبْعَادِ الْمُسْلِمِ عَنْ أيِّ خَيْرٍ، وَيَجُرُّهُ إلى الْمَهَالِكِ وَالرَّزَايَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالى:﴿**وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ جَاءَ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٦٣]. لَقَدْ بَيَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيْمَةُ أنَّهُ لَا خَيْرَ فِي صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا صَاحِبُهَا بِإيْذَاءِ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ، بَلْ إنَّ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ وَالسَّمَاحَةِ في الرَّدِّ وَعُذْرُ الْمُحْتَاجِ إذَا مَا أَلَحَّ في الطَّلَبِ وَالصَّفْحُ عَنْهُ وَعَدَمُ الإسَاءَةِ إلَيْهِ. ثُمَّ يَأتي التَّذْكِيْرُ بِصِفَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ لله– تَبَارَكَ وَتَعَالى– في خِتَامِ الآيَةِ:﴿**وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ فَهَذِهِ الآيَةُ "تَذْيِيْلٌ لِلتَّذْكِيْرِ بِصِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ – تَعَالى – لِيَتَخَلَّقَ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ، هُمَا: الْغِنَى الرَّاجِعُ إلَيْهِ التَّرَفُّعُ عَنْ مُقَابَلَةِ الْعَطِيَّةِ بِمَا يُبَرِّدُ غَلِيْلَ شُحِّ نَفْسِ الْمُعْطِي، وَالْحِلْمُ الرَّاجِعُ إلَيْهِ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَنْ رُعُوْنَةِ بَعْضِ الْعُفَاةِ"[١].

كَمَا أنَّ تَذْيِيْلَ الآيَةِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ فِيْهِ تَذْلِيْلٌ عَلى غِنَى اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – عَنْ صَدَقَةٍ مَتْبُوْعَةٍ بِالْمَنِّ وَالأذَى بَلْ عَنْ أيِّ صَدَقَةٍ يُخْرِجُهَا الْمُسْلِمُ، فَهُوَ "الْغَنِيُّ الَّذِي كَمُلَ في غِنَاهُ"[٢] غَيْرُ مُحْتَاجٍ إلى عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِهِ بَلْ الْعِبَادُ مُحْتَاجُوْنَ إلَيْهِ، وَهُوَ"الْحَلِيْمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ في حِلْمِهِ"[٣]، فَلا يُعَجِّلُ الْعُقُوْبَةَ لِمَنْ اِسْتَحَقَّهَا، بَلْ يَتْرُكُ لَهُمْ الْمَجَالَ وَاسِعًا للرُّجُوْعِ وَالإنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ.

---

[١] التحرير والتنوير (٤٧/٣).
[٢] جامع البيان (٦٥٨/٤).
[٣] جامع البيان (٦٥٨/٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** جَاءَ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[البقرة:٢٦٥]؛"يَعْنِي بِذَلِكَ: (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ) أَيُّهَا النَّاسُ، فِي نَفَقَاتِكُمْ الَّتِي تُنْفِقُوْنَهَا (بَصِيْرٌ)،

لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا وَلَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فِيْهَا وَفِي غَيْرِهَا شَيْءٌ"[1].

فَقَدْ جَاءَ فِي الآيَةِ حَثٌّ عَلَى الإِنْفَاقِ عَنْ طَرِيْقِ بَيَانِ عِظَمِ أَجْرِ الْمُنْفِقِ أَيْضًا، وَأَطْمَعَهُمْ فِي الْمَزِيْدِ مِنْ بَذْلِ الْخَيْرِ

بِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**، فَيُنْفِقُ الْمُنْفِقُ قَلِيْلاً أَوْ كَثِيْراً؛ وَهُوَ عَلَى يَقِيْنٍ أَنَّ اللهَ ﷻ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَنْ يَتْرُكَ مِمَّا عَمِلَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا. وَجَاءَتْ الْجُمْلَةُ اِسْمِيَّةً؛ لِتَرْسِيْخَ مَا بِمَضْمُوْنِهَا مِنْ مَعْنَى، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ (اللهُ) وَالْخَبَرِ (بَصِيْرٌ) بِجُمْلَةِ:**﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** لِمَا فِي تَقْدِيْمِهَا عَلَى الْخَبَرِ مِنْ بَيَانِ أَهَمِّيَّتِهَا وَلَفْتِ الانْتِبَاهِ إِلَيْهَا، حَتَّى يَكُوْنَ الْمُنْفِقُ حَرِيْصًا كُلَّ الْحِرْصِ عِنْدَ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ عَلَى أَنْ يَكُوْنَ مُوَافِقًا لِمَرْضَاةِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – فَهُوَ الْبَصِيْرُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**،جَاءَ تَذْيِيْلاً لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[البقرة:٢٧١].

فَقَدْ جَاءَ فِي الآيَةِ الْحَثُّ عَلَى إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، وَبَيَانِ الأَجْرِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى ذَلِكَ، فَخُتِمَتْ الآيَةُ بِقَوْلِهِ:**﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**، فَخَصَّ الصِّفَةَ (خَبِيْرٌ) بِالذِّكْرِ هُنَا؛ لِتَرْسِيْخِ مَعْنَى عِلْمِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – بِكُنْهِ الأُمُوْرِ، وَإِحَاطَتِهِ بِحَقَائِقِهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُ الْخَيْرِ مَسْتُوْرَةً يَخْفِيْهَا صَاحِبُهَا. فَاللهُ ﷻ عَالِمٌ بِمَا ظَهَرَ وَبِمَا خَفِيَ،"خَتَمَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ بِمَا لَطُفَ مِنْ الأَشْيَاءِ وَخَفِيَ"[2] بَيْنَمَا كَانَ اِخْتِيَارُ صِفَةِ (بَصِيْرٌ) فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ لِمُنَاسَبَتِهَا لِمَضْمُوْنِ الآيَةِ، فَقَدْ كَانَتْ الآيَةُ تَصِفُ صُوْرَةً بَصَرِيَّةً لِلْجَنَّةِ وَالْوَابِلِ وَالطَّلِّ وَالثِّمَارِ، فَنَاسَبَهَا (بَصِيْرٌ) الَّذِي أَحَاطَ بَصَرُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَغِيْبُ عَنْ بَصَرِهِ شَيْءٌ تَبَارَكَ وَتَعَالى.[3]

---

[1] المصدر السابق نفسه (٦٧٩/٤).

[2] البحر المحيط في التفسير (٦٩٣/٢).

[3] ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهر آن اللغوي العسكري، تحقيق:حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ص٦٤- ٧٤).

وَبَعْد هَذِهِ الْجَوْلَةِ مَعَ الْجُمَلِ الَّتِي جَاءَتْ تَذْيِيْلاً لِلآيَاتِ رَأَيْنَا كَيْفَ كَانَتْ أُسْلُوْبًا مِنْ الأَسَالِيْبِ الَّتِي اُسْتُخْدِمَتْ لِلْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالتَّرْغِيْبِ فِيْهَا، فَهُوَ أُسْلُوْبٌ بَلِيْغٌ، وَفَنٌّ بَدِيْعٌ مِنْ فُنُوْنِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ،كَوْنَهُ يُجْمِلُ الْمَعَانِي الْعَدِيْدَةَ وَيُوْجِزُهَا، وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْمَضَامِيْنِ وَيُقَرِّرُهَا.

وَبِاسْتِعْرَاضِ سِيَاقَاتِ وُرُوْدِ الْجُمَلِ الْخَبَرِيَّةِ نَجِدُ أَنَّهَا كُلَّهَا تَصُبُّ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَخْدُمُ أَهْدَافًا جَلِيْلَةً، مِنْ الْحَثِّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَالتَّرْغِيْبِ فِيْهِ، وَبَيَانِ آدَابِهِ، وَذِكْرِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ الْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالآجِلِ لِلْمُنْفِقِ، وَذَلِكَ لِاسْتِنْهَاضِ الْهِمَمِ وَإِبْعَادِهَا عَنْ أَدْوَاءِ النَّفْسِ؛ مِنْ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، أَوْ دُخُوْلِ شُعُوْرِ الْغُرُوْرِ وَالتَّعَالِي إِلَى النَّفْسِ بَعْدَ الإِنْفَاقِ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِيْذَاءِ الْمُنْفَقِ عَلَيْهِ وَالنَّيْلِ مِنْ كَرَامَتِهِ.

الأَسَالِيْبُ الإِنْشَائِيَّةُ [1]:

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهَا فِي الآيَاتِ:

- **الاسْتِفْهَامُ:**

نَجِدُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:**﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢١٥]، سَأَلَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- رَسُوْلَ الله ﷺ **﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾**، فَجَاءَ الْجَوَابُ أَوْسَعَ مِنْ السُّؤَالِ، حَيْثُ أَجَابَ عَنْ السُّؤَالِ بِقَوْلِهِ:**﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾**، وَزَادَ بَيَانَ مُسْتَحِقِّيْهِ مُرَتِّبًا حَسْبَ الأَوْلَوِيَّةِ:**﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**؛"لِأَنَّ النَّفَقَةَ لَا يُعْتَدُّ بِهَا إِلَّا أَنْ تَقَعَ مَوْقِعَهَا"[2].

وَتَنْكِيْرُ (خَيْرٌ) أَفَادَ الْعُمُوْمَ؛أي: كَثِيْرٌ كَانَ الْمَالُ الْمُنْفَقُ أَمْ قَلِيْلٌ، وَفِي هَذَا حَثٌّ عَلَى الْبَذْلِ وَالإِنْفَاقِ، فَلَمْ يُشْتَرَطْ الإِنْفَاقُ فِي وُجُوْهِ الْخَيْرِ أَنْ يَكُوْنَ الْمَالُ كَثِيْرًا، فَمَا يَكُوْنُ فِي وُسْعِ الْمُسْلِمِ فَلْيُخْرِجْهُ دُوْنَ أَنْ يَحْتَقِرَهُ أَوْ يَسْتَهِيْنَ بِهِ.

وَمِمَّا زَادَ عَلَى الْحَثِّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي الآيَةِ تَرْتِيْبُ الْمُنْفَقِ عَلَيْهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ (الْوَالِدَانِ)، فَالْمَالُ الْمُنْفَقُ يَجِبُ أَنْ يُبْذَلَ أَوَّلًا لِلْوَالِدَيْنِ، لِيَسُدَّ حَاجَتَهُمَا، وَحِيْنَ يَعْلَمُ الْمُنْفِقُ أَنَّ هَذَا الْمَالَ الْمُنْفَقَ هُوَ لِوَالِدَيْهِ؛ الأَمْرُ الَّذِي سَيَجْعَلُهُ أَكْثَرَ بِرًّا بِهِمَا وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمَا، فَإِنَّهُ سَيَكُوْنُ أَكْثَرَ تَحَمُّسًا لِإِخْرَاجِهِ وَبَذْلِهِ. وكذلك (الأقربين)

---

[1] **الإنشاء** هو:"الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، وينقسم إلى نوعين: إنشاء طلبي، وله خَمْسَةُ أَسَالِيْبَ: الاستفهامُ، الأمرُ، النَّهي، النِّداء، التَّمنِّي. وإنشاء غير طلبي، يكون بصيغ المدح، والذَّمِّ، وصيغ العُقُود، والقَسَم، والتَّعَجُّب، والرَّجَاء". ينظر: جواهر البلاغة (ص٦٩ – ٧٠).

[2] الكشاف (٢٥٧/١).

الذين جاءوا في المرتبة الثانية بعد الوالدين، فالإنفاقُ عليهم سيزيدهم أُلْفَةً لَهُ وَالْتِفَافاً حَوْلَهُ، وتَعُمُّ الْمَحَبَّةُ بينهم،وتزولُ الأحْقَادُ وَالضَّغَائِنُ مِنْ النُّفُوس، حِيْنَ لا يستأثِرُ فَرْدٌ وَاحِدٌ بِالْمَالِ وَيَنْعَمُ بِالْغِنَى بَيْنَمَا يُعَانِي البَاقُوْنَ الْعَوَزَ وَالْحَاجَةَ.

وَإِنْ فَاضَ الْمَالُ عَنْ حَاجَةِ الوالدين والأقربين فَالْيَتَامَى يَلُوْنَّهُمْ، والنَّفْسُ تَنْدَفِعُ لإعْطَاءِ الْمَالِ لِلْيَتِيْمِ بِدَافِعِ الشَّفَقَةِ، ولِأَمْرٍ آخَرَ هُوَ أنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ تَصَوُّرُ اِبْنِهِ في ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وقد آلَ حالُهُ بَعْدَ وَفَاتِه إلى الْحَاجَةِ والعَوَزِ، عِنْدَهَا سَيَتَمَنَّى أنْ يُشْفِقَ عليه مَنْ حَوْلَهُ وَيُخْرِجُوْنَهُ مِمَّا آلَ إليه، فيدفَعُهُ هَذَا الأمْرُ إلى كَفَالَةِ اليَتِيْمِ والإنْفَاقِ عَلَيْهِ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ. وَمَعَ اِتِّسَاعِ دَائِرَةِ النَّظَرِ لِأَهْلِ الْحَاجَةِ في الْمُجْتَمَعِ نَجِدُ الْمَسَاكين، الَّذِين لابُدَّ أنْ تُسَدَّ حَاجَتُهُمْ حتى لا يُحِيْلُهُمْ الْفَقْرُ إلى فِئَةٍ غَيْرِ سَوِيَّةٍ، يَصْدُرُ منها مَفَاسِدُ تَضُرُّ الْمُجتمعَ كَافَّةً. وَأخِيْراً (اِبْنُ السَّبِيل) ذلك الْمَارُّ الْمُغْتَرِبُ، الَّذِي أُلْمَّتْ بِهِ ظُرُوْفٌ قَاسِيَةٌ جَعَلَتْهُ في حَاجَةٍ لِمَدِّ يَدِ العَوْنِ لَهُ، فَيُعْطَى مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ تجاوز تلك الظُّرُوفِ، والرُّجُوعِ إلى الحالَةِ الطَّيِّبَةِ التي كان عليها قبل ذلك.

وَدُيِّلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيْثُ عَنْهَا في الْجُمَلِ التي جَاءَتْ تَذْيِيلاً، وَسَيَأْتي الْحَدِيْثُ عَنْهَا لاحِقًا كَوْنَهَا جُمْلَةً شَرْطِيَّةً.

وَيَتكرَّرُ هَذَا السُّؤَالُ،نَجِدُهُ في قَوْلِه تَعَالى:**﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾** [البقرة:٢١٩]،لكنَّ الجَوَابَ هَذِهِ الْمَرَّةُ يأتي مُقْتَضَبًا مُوْجَزًا..يُجَابُ فِيْهِ عَنْ الشَّيْءِ الذِي تَخْرُجُ مِنْهُ النَّفَقَاتُ فَقَطْ، قَالَ تَعَالى:**﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾**؛أي:"الفَضْلُ"[١]، وَهُوَ مَا زَادَ مِنْ الرِّزْقِ بَعْدَ سَدِّ حَاجَةِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُمْ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ،"كَانَ الْقَوْمُ يَعْمَلُونَ في كُلِّ يَوْمٍ بِمَا فِيْهِ، فَإِنَّ فَضْلَ ذَلِكَ اليَوْمَ فَضْلٌ عَنْ الْعِيَالِ قَدَّمُوْهُ، وَلَا يتركُونَ عِيَالَهُمْ جُوعاً ويتصدقون به على الناس"[٢].."وقال آخرون: معنى ذلك الوَسَطُ مِنْ النَّفَقَةِ مَا لَمْ يكن إسرافاً ولا إقتارًا".[٣]

إنَّ هذه الكلمة الوَاحِدَةَ (العَفْوُ) تَحتملُ كُلَّ هَذِه الْمَعَاني!! إنَّ هَذَا لَمِنْ أبْلَغِ الإيْجَازِ.كَمَا أنَّ في إعَادَةِ السُّؤَالِ ثُمَّ الإجَابَةِ عَنْهُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، عَلَى عَكْسِ الإجَابَةِ عَنْ السَّؤَالِ نَفْسِهِ في الآيَةِ الَّتي سَبَقَتْهَا فِيْهِ إبْدَاعٌ بَيَانيٌّ، وَتَفَنُّنٌ في التَّعْبِيْرِ، حَيْثُ يَبْسِطُ الْجَوَابَ مَرَّةً وَيُوْجِزُهُ غَايَةَ الإيجازِ مَرَّةً أُخْرَى. كَمَا أنَّ في هَذَا التَّنَوُّعِ في الْجَوَابِ شُمُولِيَّةٌ، حَيْثُ يَذْكُرُ مَرَّةً الفِئَاتَ الْمُسْتَحِقَّةَ لِلنَّفَقَةِ، وَيَذْكُرُ

---

[١] جامع البيان (٦٨٦/٣).
[٢] المصدر السابق نفسه (٦٨٧/٣).
[٣] المصدر السابق نفسه (٦٨٨/٣).

في المَرَّةِ الأُخْرَى المَصْدَرَ الَّذِي تُؤْخَذُ مِنْهُ الصَّدَقَةُ، وَهُوَ مَا فَضُلَ عَنْ حَاجَةِ عِيَالِهِ الَّذِيْنَ تَجِبُ عليه النَّفَقَةُ عليهم. فَهَذَا التَّنَوُّعُ في الجَوَابِ يُحِيْطُ بِالنَّفَقَةِ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهَا.

وكذلك نجدُ الاستفهَامُ في قولِهِ تعالى:**﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[البقرة:٢٤٥].

لَكِنَّ الاستفهَامَ هُنَا خَرَجَ عن مُقْتَضَاهُ الأَصْلِي إلى غَرَضٍ آخَرَ، وهو الحثُّ على الإنْفَاقِ في سبيلِ الله، والبَذْلِ في وُجُوهِ الخَيْرِ. وَقَدْ أَفَادَ استعمَالَ أُسْلُوبِ الاستفهَامِ لِهَذَا الغَرَضِ، تَحْفِيْزَ الذِّهْنِ للتَّفْكِيرِ فِيْمَنْ سيكونُ المُجيبَ على هَذَا السُّؤَالِ بتنفِيْذِ مَا تَضَمَّنَهُ، فَيُبادِرُ بَأَنْ يكونَ هُوَ المُلَبِّي والمُجيبُ، خَاصَّةً بعدَ سَمَاعِ تَتِمَّةِ الآيَةِ، وَمَا تحمِلُهُ مِنْ الإِخْبَارِ عَنْ الأَجْرِ العَظِيْمِ الَّذِي يَنْتَظِرُ مَنْ لَبَّى وَأَجَابَ. فــ(مَنْ) اسمُ استفهَامٍ للسُّؤَالِ عَنْ الذَّاتِ، فَتَحْتَاجُ مِمَّنْ يَسْمَعُ هَذَا السُّؤَالَ أَنْ يُبَادِرَ وَيُجِيْبَ قَائِلاً (أنا).و(ذا) اِسْمُ إِشَارَةٍ للقَرِيبِ، عُبِّرَ بِهِ هُنَا لِلإِيْحَاءِ بِأَنَّ ثَمَّةَ شَخْصٌ قريبٌ قَلْبُهُ من الله تعالى، مُتَعلِّقٌ به سيسمعُ هَذَا القَوْلَ، وسَيُبَادِرُ عَلَى الفَوْرِ إلى الإِذْعَانِ وَالإِجَابَةِ.

ويحتملُ التَّعبيرُ بــ(يُقْرِضُ) الحَقيقَة والمَجَازَ، فَالْقَرْض"إِعْطَاءُ الرَّجُلِ غَيْرَهُ مَالَهُ مُمَلَّكاً لَهُ لِيَقْضِيَهُ مِثْلَهُ إِذَا اقْتَضَاهُ"[١]، فإِنْ كانَ اسْتِعْمالُهُ عَلَى الحَقِيْقَةِ فَيُفِيْدُ التَّعْبيرُ بِهِ"أَنَّ القَرْضَ لا يَضِيْعُ؛ لأَنَّ القَرْضَ شَيْءٌ تُخْرِجُهُ مِنْ مَالِكَ عَلَى أَمَلِ أَنْ تَسْتَعِيْدَهُ، وَهُوَ سبحانه وتعالى يُطمئِنُكَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَيَقْتَرِضُ مِنْكَ، وَأَنَّهُ سَيَرُدُّ مَا اقْتَرَضَهُ، لَكِنْ لَيْسَ في صُوْرَةِ مَا قَدَّمْتَ، وَإِنَّمَا في صُوْرَةٍ مُسْتَثْمَرَةٍ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، إِنَّ الأَصْلَ مَحْفُوْظٌ وَمُسْتَثْمَرٌ،ولذلكَ يقولُ:**﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾** [البقرة:٢٤٥] ؛ إِنَّها أَضْعَافٌ كَثِيْرَةٌ بِمَقَايِيْسِ اللهِ ﷻ لا بِمَقَايِيسِنَا"[٢] .

أَمَّا إِنْ كَانَ التَّعبيرُ بِهِ عَلَى غَيْرِ الحَقِيْقَةِ فَهُوَ مَجَازٌ عَنْ كُلِّ بَذْلٍ لِلْمَعْرُوْفِ في وُجُوهِ الخَيْرِ؛ مِمَّا يُرْجَى الجَزَاءُ عليه، فَيُفِيْدُ التَّعبيرُ بـ(يُقْرِضُ) التَّأكيدَ عَلَى حُصُوْلِ التَّعْوِيْضِ وَالجَزَاءِ.[٣]وَفي إِسْنَادِ فِعْلِ (يُقْرِضُ) إِلى لَفْظِ الجَلَالَةِ (الله) مَزِيْدُ تَرْغِيْبٍ في البَذْلِ وَالإِنْفَاقِ في سَبِيْلِهِ. وَقَدْ قَيَّدَ القَرْضَ المَنْدُوْبَ إليه بوصْفِ (حَسَناً) ،فاللهُ ﷻ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. فَمَا سَيُنْفَقُ في سَبِيْلِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ

---

[١] جامع البيان (٤٢٨/٤).
[٢] تفسير الشعراوي، الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩٧م، (١٠٤٠/٢).
[٣] ينظر: التحرير والتنوير (٤٨٢/٢).

حَلالاً، وَتَكُوْنُ نَفْسُ الْمُقْرِضِ طَيِّبَةً بِهِ، والنِّيَّةُ خَالِصَةٌ لِوَجْهِهِ تَعَالى، وَلا يُتْبِعُهُ بِالْمَنِّ وَالأَذّى، بَلْ يَحْتَسِبُ عِنْدَ اللهِ أَجْرَهُ، فَلا يَطْلُبُ بِهِ عِوَضًا مِنْ أَحَدٍ.[1]

ثُمَّ بَيَّنَ جَزَاءَ هَذَا الْقَرْضِ فَقَالَ:﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾، ونَرى أَنَّهُ قد أَسْنَدَ الْمُضَاعَفَةَ إلى اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى- وفي هَذَا مَزِيْدُ تَحْفِيْزٍ عَلَى الاسْتِجَابَةِ لِهَذَا الطَّلَبِ مِنْهُ ﷻ، وَحَثٌّ عَلَى الْبَذْلِ والإِنْفَاقِ، فَكُلُّ مَا يُخْرِجُهُ سَيُحْفَظُ لَهُ عِنْدَ اللهِ – سبحانه وتعالى – وسيجدُ أَنَّهُ قَدْ تَضَاعَفَ أَضْعَافًا كَثِيْرَةً غَيْرَ مَحْدُوْدَةِ الْعَدَدِ أَوْ الْمِقْدَارِ، بَلْ هُوَ عَطَاءٌ مِنْ اللهِ –الْعَلِيِّ الْقَدِيْرِ– لا يعلمه غيْرُهُ.

وَخُتِمَتْ الآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالى:﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، وَهُنَا مَزِيْدُ حَثٍّ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، فَحِيْنَمَا تَسْتَقِرُّ حَقِيقَةُ أَنَّ اللهَ هُوَ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَأَنَّ الْمَصِيْرَ إليه، فَإِنَّهُ يَبْذُلُ وَيُنْفِقُ دُوْنَ خَوْفٍ مِنْ فَقْرٍ أَوْ حَاجَةٍ، وَدُوْنَ أن ينتظرَ العِوَضَ من النَّاس، لأنَّهُ راجعٌ إلى الله – تبارك وتعالى– الذي يعلمُ سِرَّهُ وعَلانِيَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُجْزِي جَزَاءً بِغيرِ حِسَابٍ. وسيأتي تفصيل الحديث عن الجملتين لاحقاً .

- **اَلأَمْرُ وَالنَّهْيُ:**

لقد اجتمعَ هَذَان الأُسْلُوبان في آيَةٍ واحِدَةٍ، غَرَضَهُمَا الْحَثُّ على الإِنْفَاقِ في سبيلِ اللهِ والابتعادُ عن الإِمْسَاكِ والتَّقْتِيْرِ.قَالَ تَعَالى:﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[البقرة:١٩٥].فَبُدِأَتْ الآيَةُ بالأمْرِ بِالإِنْفَاقِ في سَبِيْلِ اللهِ، وَ"سبيلُ اللهِ: طريقُهُ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يُسْلَكَ فيه إلى عَدُوِّهِ مِنْ الْمُشركين لِجِهَادِهِمْ"[2]،وقيلَ: في سبيلِ اللهِ هُوَ :"كُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ فَهُوَ مِنْ سَبِيْلِ اللهِ"[3]. والتَّعبيرُ بـ(سبيلِ الله) الذي هو الطَّرِيقُ الْمُوَصِّلُ إلى الله – تعالى – مجازٌ في اللَّفْظِ وَمَجَازٌ في الإِسْنَادِ، فَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّهُ لا يُمكنُ الوُصُولُ إلى الله، فيكونُ الْمقصُودُ من الطَّرِيقِ العَمَلَ الْمُوَصَّلَ إلى مرضاته وثوابه.[4]

ثُمَّ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ إِلْقَاءِ النَّفْسِ في الْمَهَالِكِ، وَسَبَبُ تَعْيِيْبِ ذلك الأمْرِ بِهَذَا النَّهْيِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِإِهْلاكِ النَّفْسِ هُوَ "الإِمْسَاكُ عَنْ النَّفَقَةِ في سَبِيْلِ اللهِ"[5]،

---

[1] ينظر: جامع البيان (٤٢٩/٤)، والبحر المحيط (٥٦٦/٢)، وتفسير الشعراوي (١٠٤١/٢).
[2] جامع البيان (٣/ ٣١٢).
[3] معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب،بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،(٢٦٥/١).
[4] ينظر التحرير والتنوير (٢١٣/٢).
[5] جامع البيان (٣١٤/٣).

فَالْمُرَادُ هُوَ:"إنْ لَمْ تُنْفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ هَلَكْتُمْ، أي: عَصَيْتُمْ الله فَهَلَكْتُم. وجائز أن يكون هلكتم بتقوية عدوكم عليكم".[١]

وَقَوْلُــــــهُ: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ هُوَ "مَثَلٌ، والعَرَبُ تقولُ لِلْمُسْتَسْلِمِ للأَمْرِ أعطى فلان بيده، وكذلك يُقَالُ للمُمَكَّن من نفسه مِمَّا أُريد به أعطى بيديه"[٢]. وهذه الجُملَةُ يُقَالُ أنَّ فيها مَحذُوفاً وهو مفعولُ (تُلْقُوا)، والتقدير:"ولا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ".[٣] وَنَلْمَسُ هُنَا تَصْوِيراً فَنِياً بَدِيعاً[٤].. لَقَدْ جعلنا هَذَا التَّعبيرُ يُخَيِّلُ إلينا أنَّ أَنْفُسَنَا يُرمَى بِهَا إِلى المَهَالِكِ بوَاسِطَةِ أَيْدِيْنَا .. وَحِيْنَ يَتَخَيَّلُ اَلْمَرْءُ هَذَا يُبْصِرُ حَقِيقةً قد تكونُ غَائِبَةً عَنْهُ .. هَذِهِ اَلحَقِيْقَةُ مَفَادُهَا أَنَّ الوَاحِدَ مِنَّا قَدْ يكونُ هُوَ سَبَبُ إِيْصَالِ نَفْسِهِ إِلى اَلمَهَالِكِ؛ مِنْ حَيْثُ إِرَادَتِهِ إِيْصَالِها إِلى النَّجَاةِ والسَّعَادَةِ. فَحِيْنَ يَمْتَنِعُ عَنْ اَلإِنْفَاقِ في سبيلِ اللهِ لِلْجِهَادِ أو لأيِّ وَجْهٍ آخَرَ مِنْ وُجُوهِ الخَيْرِ اَلمُتنوِّعَةِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَدَّخِرُ اَلمَالَ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ يَعُولُ، هُوَ في حَقِيْقَةِ اَلأمْرِ يَمْحَقُ بَرَكَةَ مَالِهِ، وَيُدَمِّرُ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ بِعِصْيَانِهِ أَوَامِرَ اَلله – تبارَكَ وتَعَالى – في اَلإِنْفَاقِ، فَيُحْرَمُ الأَجْرَ اَلعظيمَ، وَالرِّزْقَ الوَفِيْرَ اللَّذَيْنِ وَعَدَ الله – تعالى – بهما اَلمُنفِقِين.وفي امتناعِهِ عَنْ الإِنْفَاقِ على اَلجِهَادِ والمُجَاهِدِين تَقْوِيَةٌ لِلْعَدُوِّ مِمَّا يُعَرِّضُهُ وجميعَ اَلمُسلمين للخَطَرِ؛ مِنْ أَسْرٍ أَوْ قَتْلٍ أو اِسْتِعْبَادٍ.

ثُمَّ عقبهما بأمرٍ آخَرَ، فقال:﴿وَأَحْسِنُوَاْ﴾، ومجيئه بعد الأمر بالنِّفَاقِ والنَّهْيِ عن إهلاكِ النَّفْسِ للدَّلالَةِ عَلَى أنَّ الإحْسَانَ مَطْلُوبٌ في كُلِّ أَمْرٍ. ثُمَّ عَلَّلَ هَذَا الطَّلَبَ:﴿وَأَحْسِنُوَاْ﴾،بقوله ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهو تذييلٌ، جِيءَ به للتَّعْلِيلِ، لِيَجْعَلَ النَّفْسَ أَسْرَعَ اِمْتِثالاً للأَمْرِ وَمَحَبَّةً للاتِّصَافِ به، كي تَنَالَ تِلْكَ اَلمَنْزِلَةَ الرَّفِيْعَةَ (محبة الله تعالى) التي هي بُغْيَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ. وقد سبق تفصيل الحديث عنها .

---

[١] معاني القرآن وإعرابه (٢٦٦/١).
[٢] جامع البيان (٣٣٣/٣).
[٣] ينظر البحر المحيط (٢٥٢/٢).
[٤]"**التَّصْوِيرُ الفَنِّيُّ**: التَّصويرُ هو الأداةُ المُفَضَّلَةُ في أُسْلُوبِ القُرآن، فهو يُعَبِّرُ بِالصُّوْرَةِ المُحَسَّةِ المُتَخَيَّلَةِ عن المَعْنَى الذِّهْنِي، والحالةِ النَّفسيَّةِ، وعَنْ الحَادِثِ المَحْسُوْس، والمَشْهدِ المَنْظُوْر، وعَنْ النَّمُوْذَجِ الإِنْسَانِي والطَّبِيْعَةِ البَشَرِيَّةِ. ثُمَّ يَرْتَقِي بالصُّوْرَةِ التي يَرْسِمُهَا فَيَمْنَحَهَا الحَيَاةَ الشَّاخِصَةَ، أَوْ الحَرَكَةَ المُتَجَدِّدَةَ. فإذا المَعْنَى الذِّهْنِي هَيْئَةٌ أو حركةٌ، وإذا الحالةُ النَّفسيَّةُ لَوْحَةٌ أو مَشْهَدٌ، وإذا النَّمُوْذَجُ الإنسانيُّ شاخِصٌ حَيٌّ، وإذا الطَّبيعَةُ البَشَريةُ مُجَسَّمَةٌ مَرْئِيَّةٌ". التَّصويرُ الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط٨، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م،(ص٣٦).

• **الحذف:**[1]

ومن الأساليبِ التي اُسْتخدمَتْ للحثِّ عَلى الصَّدقةِ أُسْلُوبُ اَلْحَذْفِ، وَمِنْ أبْرَزِ مَا وَرَدَ مِنْهُ مَا جَاءَ في قولِه تعالى:**﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾** وهي الجملةُ الوَارِدَةُ في قَوْلِه تعالى:**﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[البقرة:٢٤٥]. فَقَدْ تَمَّ حَذْفُ مَفْعُولي (يَقْبِضُ، وَيَبْسِطُ)، وأفادَ هَذَا الحذْفُ مَعَاني عَظيمَةً، وأبْرَزَ أسْرَاراً بلاغيَّةً جليلةً، قال عبد القاهر الجرجاني عن الحذفِ ومزاياه:"فإنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ أفْصَحُ مِنْ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتُ عَنْ الإفَادَةِ أزْيَدُ لِلإفَادَةِ، وَتَجِدُكَ أنْطَقَ مَا تكونُ إذَا

لَمْ تَنْطِقْ، وَأتَمَّ مَا تكونُ بَيَانًا إذَا لَمْ تُبِنْ"[2].

فأفادَ الحَذْفُ هُنَا التَّوَسُّعَ في اَلْمَعْنى، حيثُ إنَّ هَذَا الحَذْفَ يتركُ للقَارئ مجالاً واسعاً للتَّفكيرِ في اَلْمَحذُوفِ وَمُحَاوَلَة تَقْدِيرِهِ، لِيَتَرَسَّخَ معنَاهُ في النَّفْس. فَمِنْ التَّقْدِيراتِ مَثَلاً: أنَّ الله ﷻ هو اَلْمُتَّصِفُ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ دُوْنَ غَيْرِهِ مِنْ اَلآلِهَةِ اَلْمَزْعُوْمَةِ، فَهُوَ تَبَارَكَ وتعالى يُقَتِّرُ الرِّزْقَ على مَنْ يَشَاءُ، وَيُوَسِّعُهُ لِمَنْ يَشَاءُ.[3]

أو أنَّهُ تعالى ُهَو الَّذي يقبضُ العَطَايَا من اَلْمُتصدِّقين، ويُبْسِطُ اَلْجَزَاءَ والثَّوَابِ لَهُمْ، أو أنَّهُ – جَلَّ وَعَلا- يَقبضُ بَعْضَ النُّفُوسِ عَنْ فِعْلِ اَلْخَيْرِ وَيُبْسِطُ أُخْرَى. أوْ يَكُوْنُ اَلْمَقْصُوْدُ الإخْبَارَ بِالوَعْدِ لِلْمُنْفِقِ بِالتَّوْسِعَةِ عليه في الرِّزْق، وَوَعِيدٍ لغير اَلْمُنْفِقِ بِالتَّقْتِيْرِ عليه؛ وَقَبْضِ الرِّزْقِ عَنْهُ.[4]

إنَّ اختيارَ هَذَا الأسلُوبِ (اَلْحَذْفِ) في هَذَا اَلْمَوْضِعِ فِيْهِ حَثٌّ على الإنْفَاقِ والتَّصَدُّقِ في سبيلِ اللهِ تَعَالى، فَالقَلْبُ يكونُ مُطْمَئِناً إلى أنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللهِ ﷻ الذي وعد اَلْمُنْفِقَ بالتَّوسيع عليه في كُلِّ مَا يُدْرِكُهُ وَمَا لَا يُدْرِكُهُ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَعَلَى نَقِيْضِ ذَلِكَ اَلْمُمْسِكِ.إنَّ اَلْمُتصدِّقَ يَتَعَامَلُ مَعَ الله – تعالى – الغَنِيِّ الَّذِي لا تَنْفَدُ خَزَائِنُهُ..فكَيْفَ سيكونُ عَطَاؤه لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وصَدَّقَ بِأسْمَائِهِ اَلْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا، الَّتي منها: القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، الوَهَّابُ، الغَنِيُّ، اَلْمُغْنِي، اَلْمَانِعُ، النَّافِعُ، الضَّارُّ،.. وَعَمِلَ بِمَضْمُوْنِهَا؛ وَكُلُّهُ يَقِيْنٌ.

---

[1] قد يحذف مفعول الفعل المتعدي لأغراض بلاغية،منها: التعميم، أو الاختصار، أو الاعتماد على تقدم ذكره إلى غير ذلك من الأغراض. ينظر: جواهر البلاغة (١٥٦).

[2] دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار، تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢٢،١هـ - ٢٠٠١م ،(ص١٠٠).

[3] ينظر: جامع البيان (٤/٤٣٢-٤٣٤).

[4] ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٣).

وَمِثْلُ هَذَا الحَذْفِ نَجِدُهُ في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾**، وهذه الجملة واردةٌ في قوله تعالى:**﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦١]. فلقد بيَّنَتْ الآيةُ كَمِيَّة الأجْرِ التي يُجْزِلُها تَعَالى لِلمُنْفِقِ في سبيلِهِ عَنْ طريق التَّشبيهِ، فَشَبَّهَتْ كَمِيَّة أجْرِ المُنْفِقِ بِعَدَدِ الحَبَّاتِ الَّتي تُخرِجُهَا السَّنَابِلُ، والتي قد تصلُ إلى سُبعمائة حَبَّةٍ أو أكثرَ مِنْ ذلك؛ مِمَّا لا يعلمُ عَدَدَهُ إلا اللهُ – تبَاركَ وتَعَالى - فكذلك أجْرُ المُنْفِق.

ثُمَّ عَقب هذا المثلَ بقوله:**﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء﴾**، فحذفَ مفعولَ (يُضَاعِفُ)، ويُحتملُ تقديره معنيان: إمَّا أنْ يكونَ المُرَادُ: أنَّ اللهَ ﷻ يُضَاعِفُ تِلْكَ المُضَاعَفَةِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ المُنفِقِين، ولَيْسَ لِكُلِّ مُنْفِقٍ، وذلك بِحَسَبِ كُلِّ المُلابَسَاتِ الَّتي تُحيِطُ بالصَّدَقَةِ؛ مِنْ إخْرَاجِهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَصِدْقِ المُنْفِقِ مَعَ اللهِ – تبارك وتعالى – وإخْلاصِ نِيَّتِهِ وَزَمَنِ إخْرَاجِ تِلْكَ الصَّدَقَةِ، وَمَدَى إيْثَارِهِ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَالمُتَصَدَّقِ عليه، ودرجة حاجته..الخ.

أو أنَّ الله – تبارك وتعالى – يزيدُ في مُضَاعَفَةِ الأجْرِ عَنْ السُّبعُمَائَةِ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ لا حُدُوْدَ لَهَا ولا نِهَايَةَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ تكرُّماً منه وفَضْلاً، وهو أيْضاً راجعٌ إلى المُلابَسَاتِ المُحيْطَةِ بالصَّدَقَةِ وإخْرَاجِها. أمَّا حَذْفُ مفعولِ (يَشَاءُ) في قوله:**﴿ لِمَن يَشَاء﴾** فهو للإيجازِ والاخْتِصَارِ ،كون المفعول مَعلومًا، فتقديره هو (من عباده).

- **الذِّكْرُ:**[1]

لقد ذكرَ المُسْنَدَ إليه اِسْماً ظاهراً رَغْمَ جَوَازِ مَجِيئه ضَمِيراً، وذلك في موضعين، وقد حَمَلَا نَفْسَ المُفْرَدَاتِ وذَاتَ التَّركيبِ، قال تعالى:**﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦١]، وقال تعالى:**﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦٨].

وجاءت الجملة ذاتها **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[تذييلاً للآيتين، لاشتمالها على المعنى المراد إيصاله في الآيتين، ففي الآية الأولى نجد بيان الأجر العظيم الذي يُجزلُهُ تعالى لِلمُنْفِق؛ مِنْ خِلالِ ضَرْبِ المَثَلِ لذلك:**﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾** ثُمَّ تُسْتَأنَفُ

---

[1] **الذِّكْرُ:**الأصلُ في المسند إليه أن يذكر،ولا مقتضى لحذفه إلا بقرينه،فإنْ وجدت القرينة ولم يكتفي بها،وذكر المسند إليه يرجع هذا إلى أغراض بلاغية، منها:قلة الثقة بالقرينة لضعفها، أو التلذذ بالذكر،أو التعريض بغباوة السامع،إلى غير ذلك من الأغراض. ينظر:جواهر البلاغة(ص١٠٢).

جُملةً جديدةً:**﴿وَاللَّـهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾**، لبيانِ عِلْمِ الله – تبارك وتعالى – بِـمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُضَاعَفَةَ ، وَمِقْدَارَ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي يَسْتحقُّهَا. ومِنْ ثَـمَّ تُـخْتَمُ الآيَـةُ بِـ:**﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**؛لأنَّ إِجْزَالَ الأَجْرِ لِلْمُنْفِقِ يَتَنَاسَبُ مَعَ وَاسِعِ فَضْلِ الله ﷻ وعظيمِ عَطَائِهِ، وعِلْمِهِ بِـمَنْ يستحقُّ الْمُضَاعَفَةَ ومِقْدَارَهَا الذي يُنَاسِبُ شُمُوْلَ عِلْمِ الله تعالى – بخفايا القلوب وما تُضْمِرُهُ النُّفُوْسُ.ولقد جِيْءَ بِالْمُسْنَدِ إليه اِسْماً ظاهراً (لفظُ الجلالةِ اللهُ) في الجملةِ الأخيرة:**﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**، في حين أنه يجوز أن تأتي الصيغة على نحو (وهو واسعٌ عليمٌ) باستخْدَامِ ضميرِ الْغَيْبَةِ العَائِدِ عَلَى الاسْمِ الظَّاهِرِ في الجُمْلَةِ الْمَعْطُوْفِ عليها:**﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾**، لكن لكون هذه الجملة تذييلاً جِيءَ بها على هذه الصيغة لضمان استقلاليتها. وأمرٌ آخَرُ، فإنَّ هَذَا الذِّكْرَ قَد أَفَادَ التَّعظيمَ والتَّفْخِيْمَ، وهُوَ مَا لا يكونُ بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ من القُوَّةِ إذَا مَا جَاءَ التَّعبيرُ بِالضَّمِيْرِ.

وهَذَا يُـمكِنُ قوْلُـهُ أَيْضًا في الآيَـةِ الثَّانِيَـةِ **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾**، فالجملةُ الأخيرةُ جَاءَتْ تَذْيِيلاً يُرَادُ اِسْتِقْلالُهُ وَشُمُوْلُهُ لِمَعْنَى الآيَةِ وَإِيْحَائِه بِما فيها من الْمَعَاني. فَصِفَةُ (وَاسِعٌ) تَتَناسَبُ مع سِعَةِ فَضْلِ الله – تعالى – الْمُتناقِضَةِ مَعَ وعِيْدِ الشَّيطانِ بالفَقْرِ، وَصِفَةُ (عَلِيْمٌ) لِتُناسِبَ إحَاطَةِ عِلْمِ اللهِ – تَبَارَكَ وتَعَالى – بالعاصين الْمُعَانِدِيْنَ الطَّائعين للشَّيْطَانِ، والعاصين الْمُنيبين الْمُستغفرين الذين يستجيبون لوعد الله – تعالى – الذي يستقبلُ تَوْبَتَهُمْ، وَيَغْفِرُ لَـهُمْ مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِهِ.

- **الْجُمَلُ الشَّرْطِيَّةُ:**[١]

مرَّتْ بِنَا خِلالَ ذِكْرِ السَّيَاقَاتِ الْمُتعدِّدَةِ لِوُرُوْدِ الْـجُمَلِ الْـخَبَرِيَّةِ، جُمَلٌ خبريَّةٌ جَاءَتْ عَلَى هَيْئَةِ (الشَّرْطِ)، وَتَـمَّ

تحلِيْلُهَا في سِيَاقِهَا، لَكِنَّ مَا لُوْحِظَ فيها مِنْ تَشَابُهٍ يَدْفَعُ إلى ذكرها مرة أخرى بشيء من التفصيل للمقارنة بينها

لمحاولة الوقوف ولو على شيءٍ يسيرٍ من الأسرارِ البَلاغيَّةِ الرَّاجِعَةِ إلى التَّشَابُهِ أو الاخْتِلَافِ. ومن هذا ما لوحظ في قوله تعالى:**﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّـهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢١٥]،وتكرر في آية أخرى مع اختلاف فعل الشرط،قال تعالى:**﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّـهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٧٣]. فلماذا اختلف فعلا الشَّرْطِ في الجملتين ؟

---

[١] إن ما يحدد كون الجملة الشرطية خبرية أم إنشائية هو جوابها. فالجملة الشرطية تتكون من أداة الشرط وفعل الشرط وجواب الشرط. وتعمل أدوات الشرط على ربط حدثين مع بعضهما يتوقف الثاني على الأول.

إنَّ الجملة الأولى جاءت تذييلاً لقوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢١٥].وجاءت الجملة الثانية تذييلاً لقوله تعالى:﴿**لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٧٣].إنَّهُ من الوَهْلَةِ الأولى يلحظُ اَلمَرْءُ أنّ الفَرْقَ بين الجملتين هو العمومُ والخُصُوصُ، الذي دلَّ عليه فِعْلا الشَّرْطِ (تفعلوا، تنفقوا). فمن المعلوم أنَّ دَلالَة الفِعْلِ (تَفْعَلُوا) أعَمُّ وأشْملُ مِنْ دَلالَةِ الفِعْلِ (تُنْفِقُوا). فالفِعْلُ (تفعلُوا) اَلمُقَيَّدُ بـــ(مِنْ خَيْرٍ) شَامِلُ لِكُلِّ فِعْلِ خَيْرٍ يَصْدُرُ مِنْ اَلمُسْلِمِ بِمَا فيهم الإنفاقُ، إذن ففعل (تنفقوا) هو واحدٌ من أفعَالِ الخيرِ الكثيرَةِ التي يَفْعَلُهَا الإنْسَانُ.. فَمَا سِرُّ اختْصَاصِهِ بِالذِّكْرِ في الآيَةِ الثَّانِيَةِ؟ وما سِرُّ العُمُومِ والشُّمُولِ الذي اتَّسَمَتْ به الجُمْلَةُ في الآيَةِ الأولى؟

يمكنُ القولُ عن أسبابِ هَذَا الاخْتِلافِ هُوَ أنَّ الآيَةَ الأولى جَاءَ فِيْهَا سُؤَالُ اَلمُسلمين النبي ﷺ عن﴿**مَاذَا يُنفِقُونَ**﴾ فأجيبوا بـــ﴿**مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ**﴾؛ أي: أن نفقاتكم يجب أن تكون من الطيبات، وهو الأمر الذي جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿**أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ [البقرة:٢٦٧]،ثُمَّ زاد على هذا البيان بذكر من تدفع لهم تلك النفقات، فبدأ بالوالدين وأتبعهم بالأقربين، ثُمَّ اليتامى والمساكين وابن السبيل..وهم - كما نلاحظ – فئاتٌ يتمُّ دَفْعُ النَّفَقَةِ عليهم بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ وَجْهاً لِوَجْهٍ، وَهَذَا الأمرُ يحتاجُ إلى أنْ يُلابِسَ هذا الفعلُ أُمورًا أخرى، أَهَمُّهَا اَلبَشَاشَةُ وَسَمَاحَةُ اَلوَجْهِ وَطِيْبُ النَّفْسِ؛ ليتلقاها الطَّرفُ الآخرُ بالسَّعَادَةِ والفَرَحِ والسُّرُورِ، فيصبحُ لتلك النَّفَقَاتِ طَعْمٌ جميلٌ، فيه الرِّضَا والرَّاحَةُ.. على عكس مَا لو دَفَعَها إليهم وهُو عَابِسُ الوَجْهِ؛ وفي تَعَالٍ وتكبُّرٍ وإشعارٍ للآخر بأنه أعطاه ما أعطاه وهو كارهٌ لذلك؛ غيرُ راضٍ عَمَّا أخْرَجَ.. لِهَذَا نَجِدُ الآيةَ خُتِمَتْ بِهَذَا الفعل (تفعلوا)؛ للإيحاءِ بِكُلِّ تِلْكَ اَلمُلابَسَاتِ التي يجبُ أنْ تُحِيْطَ النَّفَقَةَ، وأنَّهُ لا يكفِي مع هذه الفِئَاتِ الإنْفَاقُ فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مع ذلك من أُمُورٍ تَرْفَعُ مَنْ قيمَةِ هَذَا الإنْفَاق. وتَقييدُ هَذَا الفِعْلِ (تفعلوا) بـــ ﴿**مِنْ خَيْرٍ**﴾- للتَّأكيدِ على أنَّ الفِعْلَ الوَاجِبَ صُدُوره هو فعلُ الخير.

أمَّا الآيَةُ الثَّانِيَةُ فقد وردَ فيها التَّنْبِيْهُ لِلْمُسلمين التَّحَرِّي عَنْ أصْحَابِ الحاجَةِ في اَلمُجْتَمَعِ مِمَّنْ يَخْفَى أمْرُهُمْ، لِشِدَةِ تَعَفُّفِهِمْ وتَرَفُّعِهِم عَنْ اَلمَسْأَلَةِ، والبُعْدِ عَنْ عَرْضِ حَاجَتِهِم لأحَدٍ؛ حِفْظاً لكرامَتِهِم، وَاسْتِبْقَاءً لِعِزَّةِ نُفُوْسِهِم.. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِه حَالَتُهُمْ، وتلك صِفَتُهُمْ، اُخْتِيْرَ التَّعْبيرُ بـ(تُنْفِقُوا) اَلمُقَيَّدِ بـــ ﴿**وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ**﴾ أيضاً، للإشارة إلى أنه لا يراد من المسلمين إلا الإنفاق عليهم، لسد حاجتهم،

وهذا فيه إشارة أخرى إلى أنَّهُ على الْمُتصدِّق أنَّ يَتَحَرَّى بِصَدَقَتِهِ عليهم السِّرَّ وسَوَادَ اللَّيْلِ.. فَإِنَّهُمْ لِشِدَّةِ عِزَّةِ نُفُوسِهِمْ لَمْ يتعرَّضُوا لِسُؤَالِ النَّاسِ رَغْمَ شِدَّةِ حَاجَتِهِم، فَمِنْ بَابِ أولى أَلَّا يَفْضَحَهُمْ مَنْ عَلِمَ بِحَالِهِمْ، بَلْ يَسْتُرُهُمْ وَيَعْمَلُ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِم في خَفَاءٍ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، بَلْ حتى عن أعينهم هم ذاتهم، فلا يكشفُ نَفْسَهُ لَهُمْ، لِئَلَّا يَشْعُرُوا بالحَرَجِ والضِّيْقِ.. ومِنْ هُنَا يتَّضِحُ أنَّ التَّصَدُّقَ عليهم ليسَ بحاجَةٍ إلى مُلابَسَاتٍ أُخْرَى؛ لأنَّهُ مِنْ الأفْضَلِ لَهُمْ عَدَمُ مَعْرِفَةِ مَنْ تَصَدَّقَ عليهم، وهذا فيه إرضَاءٌ لِنُفُوسِهِم أفْضَلُ مِمَّا لو عرفُوا الْمُتَصَدِّقَ، فهذا سَيؤُدِّي إلى شُعُورِهِم أَمَامَهُ بِالانْكِسَارِ والضَّعْفِ، وَهَذَا مَا لا يُرِيدُونه لأنْفُسِهِمْ، إذْ أنَّهُمْ يُريدون دائماً العيشَ؛وَهُمْ شَاعِرُون بِكَرَامَتِهِم الكَامِلَةِ وعزة نفوسهم المصونة.فناسب التعبير بـ(تنفقوا) قدر المراد الذي تحتاج إليه هذه الفِئَةِ.

فَيَا لَعَظَمَةِ هَذَا القُرْآنِ الكريمِ..إنَّها لِدِقَّةٌ بَالِغَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ؛ لَا تَسْمَحُ بِزِيَادَةِ التَّعْبِيْرِ عن المعنى الْمُرادِ، ولا تَرْضَى بِقُصُورِهِ..بَلْ تأتي كُلُّ كَلِمَةٍ في مَوْضِعِهَا، فَلا تَسُدُّ كَلِمَةٌ أُخْرَى مَسَدَّهَا..

وهناكَ جملةٌ شرطيَّةٌ، لكنَّهَا تُعَدُّ مِنْ أسَاليبِ الإنْشَاءِ غيرِ الطَّلَبِي، لِمَجِيءِ جَوابِهَا مبدوءًا بصيغَةِ مَدْحٍ (نِعْمَ)؛ وهِيَ قولُهُ تعالى:**﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[البقرة:٢٧١]. لقد جاء في هذه الآيةِ الكريمةِ مدحٌ لِلمتصدِّق مِمَّنْ كَانَتْ صَدَقَتُهُمْ في الْعَلَنِ، وَزَادَتْ في مَدْحِ صَدَقَةِ السِّرِّ، وجعلتها في مرتبةٍ أعلى. فَنِعْمَ الصَّدَقَةُ ما أعطيتَ عَلَناً، لكن خيراً منها ما أخْفَيْتَ فَلَمْ يَطَّلِعْ عليها أحدٌ. فهدفَتْ هذه الآيَةُ إلى بيانِ درجَاتِ أنواعِ إخْرَاجِ الصَّدقَةِ، وأنَّ أحَدَ الأسَاليبِ أفْضَلُ مِنْ الآخَرِ. وعَبَّرَ عن هذا الْمَعْنَى بِالجملَةِ الشَّرطيَّةِ. واخْتيرَ التَّعبيرُ بِأدَاةِ الشَّرْطِ (إنْ) هُنَا للتَّأكيدِ على تَحَقُّقِ وُقُوعِ الشَّرْطِ، فخُرُوجُ الصَّدَقَاتِ عَلانيَةً خَالصةً لِوَجْهِهِ تَعَالى غيرَ مَتبوعَةٍ بِالْمَنِّ والأذَى مُوْجِبٌ لِمَدْحِهَا من الله تعالى والثَّنَاءِ عليها؛ ومِنْ ثَمَّ تَقَبُّلِهَا. وقَدْ عُبِّرَ عَنْ هَذَا الْمَدْحِ بقوله **﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾**، فـ(نعم) فعلٌ ماضٍ جامدٌ لإنشاءِ الْمَدْحِ، و(مَا) نكرةٌ تامَّةٌ بِمَعْنى (شيء) فيكونُ الْمَعْنى : (فَنِعْمَ شَيْئًا إبْدَاؤُهَا)[1].

وهذا التَّعبيرُ هُوَ من أكثرِ التَّعَابيرِ الْمُوْحِيَةِ بِالْمَدْحِ والرَّفْعِ مِنْ شأنِ الْممدُوحِ، ورَغْمَ هذا نَجِدُ أنَّ هُنَاكَ تفضيلٌ لِمَمدُوحٍ آخرَ.. هو إخْفَاءُ الصَّدَقَةِ.. فقد فَضَّلَ إخفاؤها على إظهارها بقوله : **﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**، فقد استعملَ (أفعل التفضيل) في قوله **﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**؛أي: فإخفاؤها خيرٌ من إبدائِهَا.

---

[1] الكشاف (٣١٦/١).

ثُمَّ يأتي قوله تعالى:﴿ **وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِنْ سَيِئَاتِكُمْ**﴾، (الواو) هنا استئنافيَّةٌ، ويكَفِّرُ: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير عائد إلى (الله) تبارك وتعالى، والجملةُ خبرٌ لِمُبتدأ محذوفٍ، أي: واللهُ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ. ومجيء هذه الجملةِ مُسْتأنَفَةً لِيَشْمَلَ حُكْمُهَا كِلَا الحالتين التي تخرج بهما الصَّدقةُ. و"(من) في قوله:﴿**مِّن سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ للتَّبعيض؛ أي: شيئاً من سيئاتكم"[1]، فهو تبارك وتعالى خبيرٌ بالطَّريقَةِ التي أخْرَجتُمْ بها الصَّدَقَةُ، وأسبابِ اختيارِ واحدةٍ منها، وتركِ الأُخْرَى، فقد تكونُ صَدَقَةُ العَلَنِ في مَوْضِعٍ خيرًا مِنْ صَدَقَةِ السِّرِّ، لكنْ تبقَى القاعِدَةُ الأساسِيَّةُ هي أنَّ الأفْضَلِيَّةَ لِصَدَقَةِ السِّرِّ. وذُيِّلتْ الآيَةُ بقولِهِ تعالى:﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾، وقد سَبَقَ الْحَدِيْثُ عَنْهَا.

- **الْقَصْرُ:**[2]

لَقَدْ مَرَّتْ بِنَا جُمَلٌ جَاءَتْ بِأُسْلُوْبِ الْقَصْرِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالى:﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾الذي جَاءَ في خِتَامِ قوله تعالى:﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[البقرة:٢٤٥]. فهذه الجملة:﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ معطوفةٌ على جُمْلَةِ ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**﴾، وغرضُهَا التَّذكيرُ بِالْمَصِيرِ والْمَآل. فالضَّميرُ في (إليه) عَائِدٌ إلى لَفْظِ الْجَلَالَةِ (الله) الوَارِدِ في الْجُمْلَةِ الْمَعْطُوْفِ عليها. وجَاءَ الْقَصْرُ هُنَا بِطَرِيقِ تَقْدِيْمِ الْمُتَعَلَّق (إليه) عَلَى عَامِلِه (تُرْجَعُوْنَ)، قال أبو موسى:"تقديمُ الْمُتَعَلَّق عَلَى الْعَامِلِ فَإنَّهُ غَالِبًا مَا يكونُ للاخْتِصَاص"[3].. لَقَدْ أَفَادَ الْقَصْرُ هُنَا تَأْكِيْدَ الْمَعْنَى في النَّفْس، فَيَعْلَمُ الْمَرْءُ أَنَّا مَرْجِعَ لَهُ إلَّا إلى الله – تبارك وتعالى - فَهُوَ خَالِقُهُ، وَهُوَ الْمُبْدِئُ والْمُعِيْدُ، فَلَا يَغْتَرُّ مَنْ بِيَدِهْ رِزْقٌ وَيَحْبِسُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيَنْسَى غَيْرَهُ مِمَّنْ ضَاقَتْ بِهِمْ الْحَالُ .. وَلْيَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّ مَصِيْرَهُ الرُّجُوْعُ إلى اللهِ الرَّزَّاق، وَسَيُحَاسِبُهُ عَلَى مَا مَلَّكَهُ إيَّاهُ، إنَّ مِثْلَ هَذَا الأُسْلُوْبِ فِيْهِ حَثٌّ أكْثَرُ عَلَى الْبَذْلِ والإنْفَاق، لِاسْتِغْرَارِ مَعْنَى أنَّ الْمُبْتَدِئَ والْمُنْتَهَى مِنْ اللهِ وَإلَيْهِ.

كما جاء القصر في قوله تعالى:﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٧٢]. فجملةُ ﴿**وَمَا تُنْفِقُوْنَ إلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**﴾، قَصْرٌ بطريق النَّفْي بـــ(ما)، والاستثناء (إلا)، وهذه الطَّريقةُ

---

[1] فتح القدير (١/٣٣٤).

[2] **القصْرُ** هو: تخصيص شيء بشيء آخر بطريق مخصوص، الشيء الأول المقصور، والشيء الثاني المقصور عليه، والطريق المخصوص يكون بإحدى الأساليب التالية: النفي والاستثناء، أو (إنما)، أو العطف بـ (لا، بل، لكن)، أو تقديم ما حقُّه التأخير". ينظر: جواهر البلاغة (ص١٦٨).

[3] خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧، القاهرة، (ص٢٦٤).

لِلْقَصْرِ تأتي حينَ يكونُ هناك إنكارٌ من الْمُخَاطَبِ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ أو شَكٌّ فيه[1].

واستعمل هنا لِمَوْقِفِ الْمُسْلِمِين من غيرِ الْمُسْلِمِين مِمَّنْ كانوا يُنْفِقُونَ عليهم قَبْلَ الإسْلام، حيثُ امْتَنَعُوا عن ذلِكَ؛ رَغْبَةً منهم في أنْ يُلْجِئَ هَذَا الأمْرُ أُولَئِكَ الْمُنْفَقَ عليهم للدُّخُولِ في الإسْلام، فَأَرَادَ تعالى أنْ يُؤَكِّدَ لَهُمْ أنَّ عليهم أنْ يَتَوَجَّهُوا في نِيَّاتِهِمْ إلى الله – تبارك وتعالى – وَيُخْلِصُوْنَ في تِلْكَ النِّيَّةِ، وَأَلَّا يَبْتَغُوا بِهَا أيَّ مَقْصَدٍ آخَرَ .. أمَّا هِدَايَةُ النَّاسِ لِلإسْلام فَهُوَ أمْرٌ بِيَدِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – فَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...

- **اَلتَّشْبِيْهَاتُ وَالْمَجَازَاتُ وَالاِسْتِعَارَاتُ:**

وَرَدَ **التَّشْبِيْهُ** في الآيتين (٢٦١ ، ٢٦٥)، فالآيَةُ الأُوْلى هِيَ قَوْلُهُ تَعَالى:**﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦١]. في هَذِهِ الآيَةِ الكريْمَةِ تَصْوِيْرٌ لِمَا يُجْزِلُهُ – تَبَارَكَ وتَعَالى – لِلْمُنْفِقِ مِنْ الأجْرِ، عَبَّرَ عَنْهُ بِاسْتِعْمَالِ أُسْلُوْبِ التَّشْبِيْهِ، وَاخْتِيْرَ أَبْلَغَ نَوْعٍ مِنْ أنْوَاعِ التَّشْبِيْهِ، وَهُوَ التَّشْبِيْهُ التَّمْثِيْلِي[2].

فَقَوْلُهُ:**﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾** يلزمُ تَقْدِيْرَ مَحذوفٍ؛ أي:(مَثَلُ نَفَقَتِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ)،أو (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ بَاذِرِ حَبَّةٍ)[3]. فمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُوْنَ أمْوَالَهُمْ على أنْفُسِهِمْ أو على غَيْرِهِمْ لِلْجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ، أو بالإنْفَاقِ في وُجُوْهِ الْخَيْرِ الْمُتَنَوِّعَةِ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ مِنْ حَبَّاتِ الْحِنْطَةِ أو الشَّعِيْرِ أو غيرِ ذلك مِنْ نَبَاتَاتِ الأرْضِ التي تُسَنْبِلُ سَنَابِلَ بَذْرَهَا زَارِعٌ في أرْضٍ طَيِّبَةٍ، فَأَخْرَجَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ، فَهَكَذَا يكونُ أجْرُ تِلْكَ النَّفَقَاتِ..إنَّهَا تُضَاعَفُ إلى سُبْعُمَائَةِ ضِعْفٍ[4].

---

[1] ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني (ص٢١٨).

[2] **التَّشْبِيهُ** هو:عقدُ مُمَاثَلَةٍ بين أمرين أو أكثر، بقصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة، لِغَرَضٍ مُعَيَّنٍ يَقْصِدُهُ الْمُتَكَلِّمُ.

وله أركانٌ:

الْمُشَبَّهُ: وهو الأمرُ الذي يُرادُ إلحَاقُهُ بغيره.

والْمُشَبَّهُ بِهِ: وهو الأمر الذي يُلحق به المشبه. وهذان الرُّكنَان أسَاسِيَّان لا يُمْكِنُ حَذْفُهُمَا.

وَوَجْهُ الشَّبَهِ هو: الوَصْفُ الْمُشْتَرَكُ بين الطَّرفين، ويكونُ في الْمُشَبَّهِ به أقوى منه في المشبه.

وأداة التشبيه وهي: اللفظ الذي يدل على التشبيه، وهذان الركنان يجوز الاستغناء عن ذكرهما ظاهرين لكونهما مفهومين من خلال السياق.**والتشبيه التمثيلي** هو: ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من مُتعدِّدٍ، حِسِيًّا كان أو غير حِسِّيٍّ.ينظر: جواهر البلاغة (ص٢١٩ – ٢٢٤).

[3] ينظر: الكشاف (٣١٠/١).

[4] ينظر: جامع البيان (٦٥١/٤).

وَقَوْلُهُ:**﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾** فيه **مَجَازٌ عَقْلِيٌّ**[1]، حيثُ أَسْنَدَ الإِنْبَاتَ إِلـى الحَبَّـةِ مَـعْ أَنَّ اَلْمُنْبِـتَ هُـوَ اللهُ – تَبَـارَكَ وتَعَـالى - وذلِـكَ لِأَنَّـهَا سَـبَبٌ فـي اَلإِنْبَاتِ[2].

واختيـارُ التَّعبيرِ بـــ(سَنَابِلَ) – وهـي عَلَـى وَزْنِ (فَعَائِلَ) التـي هِـي إِحْدَى صِيَغِ جمُوُعِ اَلْكَثْرَةِ – دُوْنَ (سُنْبُلَاتٍ) – التـي هِي مِنْ جُموعِ القِلَّةِ - لأنَّ هَذِهِ الآيَـةَ مَبْنِيَّـةٌ عَلَـى الإِخْبَـارِ عَمَّـا أَعَـدَّهُ اللهُ – تعـالى – لِلْمُنْفِقِ فـي سَـبِيْلِهِ، وَمَـا يُضَـاعَفُ لَـهُ مِـنْ أَجْرِ إِنْفَاقِهِ، فَنَاسَبَ هَذَا إِيْرَادَ الصِّيْغَةِ الدَّالَـةِ عَلَـى اَلْكَثْرَةِ[3]، لِيُسَاعِدَ هَذَا عَلَى تَفْخِيْمِ اَلْمُشَبَّهِ بِهِ، وَمِنْ ثَـمَّ إِسْقَاطُ هَذَا التَّفْخِيْمِ عَلَى اَلْمُشَبَّهِ، وهُوَ الأَجْرُ العَظِيْمُ الَّذِي يَنْتَظِرُ اَلْمُنْفِقَ اَلْمُتَصَدِّقَ. وَقَدْ أَفَادَ اِسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ التَّشْبِيْهِ اَلتَّمْثِيْلِـي هُنَـا، إِبْـرَازَ كِمِيَّـةِ الأَجْـرِ اَلمَمْنُوْحَـةِ لِلْمُنْفِـقِ فـي صُـوْرَةٍ حِسِـيَّةٍ مَرْئِيَّـةٍ..فَيَتَجَلَّى اَلْمَعْنَى في اَلْقَلْبِ وَيَتَّضِحُ في الذِّهْنِ، فَيَكُوْنُ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَـى تَـحْقِيْقِ اَلـهَدَفِ، وهُوَ اَلـحثُّ عَلَى البَذْلِ وَالإِنْفَاقِ في سَبِيْلِ الله، مِـمَّا يَـجْعَلُ النَّفْسَ تَنْشَطُ لِـهَذَا الْعَمَلِ، وَتُسَارِعُ إِلَيْهِ رَغْبَةً في اَلـحُصُولِ عَلَى الأَجْرِ اَلْعَظِيْمِ مِنْ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى.

أَمَّا الآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالى:**﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[البقرة:٢٦٥].

جَاءَتْ هَذِهِ الآيَـةُ الكَرِيـمَةُ بِـمَثَلٍ آخَرَ لِلْمُنْفِقِ في سَبِيْلِ اللهِ وَنَفَقَتِهِ، وذَلِكَ لِمُقَارَنَتِهِ بِـحَالِ مَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ اِبْتِغَاءَ الرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ الذي جَاءَ في قوله تعالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[البقرة:٢٦٤]،"لَـمَّا مَثَّلَ حَالَ اَلْمُنْفِقِ رِئَـاءً بِالتَّمْثِيلِ الَّذِي مَضَى أُعِيْدَ تَـمْثِيلِ حَـالِ اَلْمُنْفِقِ اِبْتِغَـاءَ مَرْضَـاةِ الله بِـمَا هُوَ أَعْجَبُ في حُسْنِ التَّخَيُّلِ. فَإِنَّ الأَمْثَالَ تُـهَيِّجُ السَّامِعَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ تَرْكِيْبًا، وَضَمَّنَ اَلـهَيْأَةَ اَلْمُشَبَّه بِـهَا أَحْوالاً حَسَنَةً تُكْسَبُهَا حُسْنًا؛ لِيَسْرِى ذَلِكَ اَلتَّحْسِيْنُ إِلى اَلْمُشَبَّهِ. وَهَذَا مِنْ جُـمَلَةِ مَقَاصِدِ

---

[1] **المَجَازُ اَلْعَقْلِيُّ** هو:"إثباتُ الفِعْلِ لِغَيرِ مُسْتَحِقِّهِ، وَلِمَا لَيْسَ بِفَاعِلٍ عَلَى اَلـحَقِيْقَةِ". أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار، قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عليه : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،(ص٤١٠).

[2] ينظر: الكشاف (٣١٠/١).

[3] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحادِ والتَّعطيلِ في توجيه اَلْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِ مِنْ آي التَّنزيلِ،لأحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق:د.محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، (١٣١/١).

اَلتَّشْبِيْهِ"[١]. فَالَّذِينَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَـهُمْ في وُجُوْهِ اَلـخَيْرِ اَلْمُتَنَوِّعَةِ طَلَبًا لِمَرْضَـاةِ اللهِ – تَبَـارَكَ وَتَعَـالى – وَتَثْبِيتًـا لِأَنْفُسِـهِمْ لِلْعَمَلِ فـي طَاعَـةِ اللهِ يَقِيْنًـا مِـنْهُمْ بِوَعْدِ اللهِ، وَاحْتِسَابًا لِلأَجْرِ،كَمَثَلِ بُسْتَانٍ بِقِطْعَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ اَلأَرْضِ (رَبْوَةٍ)،وَاخْتِيْرَتْ هُنَا دُوْنَ غَيْرِهَا مِنْ اَلأَرَاضِي؛"لأَنَّ رِيْعَ الرِّبَا أَكْثَرُ وَمِنْ السَّيْلِ والبَرْدِ أَبْعَدُ"[٢]، فَيَحْسُنُ ثَمَرُهَا وَيزكِّي غَرْسُهَا ويَطيبُ زرعُهَا. ثُـمَّ إِنَّ اَلمَطَرَ اَلغَزِيْرَ يَنْزِلُ عَلَيْهَا مِـمَّا يَـجْعَلُهَا تُزْهِرُ وتُثمِرُ ثِمَارًا كَثِيْرَةً، أَضْعَافَ مَا كَانَ يُؤَمَّلُ مِنْهَا. وحَتَّى عِنْدَ نُزُولِ مَطَرٍ قَلِيْلٍ عليها ونَدَى؛ فَإِنَّـهُ لَـا يُعْدَمُ خَيْرُهَا، فَلِطِيْبِهَا أَيْضًا تَتَـأَثَّرُ بِتِلْكَ الكميَّةِ القَلِيْلَـةِ مِنْ اَلمَـاءِ، وتُنْبِتُ ثِـمَاراً طَيِّبَـةً وَإِنْ كَانَـتْ أَقلَّ عَدَدًا.. فَكَذَلِكَ اَلمُتَصَدِّقُ وَاَلمُنْفِقُ مَالَهُ اِبْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وَلَـا أَذى؛ قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَوْ كَثُرَتْ لَـا يُعْدَمُ خَيْرَهَا وَالأَجْرَ اَلـجَزِيْلَ مِنْ اَللهِ عَلَيْهَا[٣].

وفـي قولـه:﴿ **فَئَاتَـتْ أُكُلَهَـا ضِـعْفَيْنِ**﴾ مجـازٌ عقلـيٌّ، حَيْـثُ أَسْنَدَ اِلإِيْتَـاءَ إِلـى اَلـجَنَّةِ. أَمَّا قوله ﴿**فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**﴾فهو "ضعفين مِـمَّا لا يُرَادُ بِهِ شَفْعَ الوَاحِدِ، بَلْ يكونُ مِنْ التَّشبيهِ الَّذِي يُرَادُ بـه التَّكْثِيْرُ، وَكَأَنَّـهُ قِيْلَ: فَآتَـتْ أُكُلَهَـا ضِـعْفَيْنِ؛ ضِعْفًا بَعْدَ ضِعْفٍ، أَي: أَضْعَافاً كَثِيرةً، وهَذَا أَبْلَغُ في التَّشْبِيْهِ لِلنَّفَقَةِ بِالْـجَنَّةِ؛ لأَنَّ اَلـحَسنَةَ لَـا يكونُ لَـهَا ثَـوَابُ حَسَنَتَيْنِ، بَلْ جَـاءَ تُضَـاعَفُ أَضْـعَافًا كثيـرةً، وَعَشْرَ أَمْثَالِـهَا وَسَبْعَ مَائَةٍ وَأَزْيَدَ"[٤].

إِنَّـهُ "تشبيهٌ رائعٌ وجميلٌ، يهزُّ العَوَاطِـفَ، ويُـحَرِّكُ الأَحَاسِيْسَ وَالْمَشَـاعِرَ، وتَسْجُدُ لَهُ البَلاغَةُ في أَسْمَى مَعَانِيْهَا وأَلْوَانِـهَا. تَأَمَّلْ نَظْمَ الآيَـةِ العَجِيْبِ،كَلِمَاتٌ إِلَـهِيَّةٌ لَـا يَصْلُحُ في مَكَانِـهَا غَيْرُهَا، تُعَبِّرُ عَنْ مَعَانِيْهَـا فـي دِقَّـةٍ وَإِحْكَـامٍ، وتَنْبَعِـثُ مِنْهَـا لَطَـائِفُ وَأَنْـوَارٌ، وَيَنْطَـوِي تَـحْتَهَا الكثيـرُ مِنْ اَلعَجَائِـبِ وَالأَسْـرَارِ، وَجُـمَلٌ رَبَّانِيَّةٌ مُتَنَاسِقَةٌ مُتَلَاحِقَةٌ، قد فُصِّلَتْ عَلَى مَعَانِيْهَا بِـمِقْدَارٍ، وحُرُوفٌ ذَاتُ أَصْوَاتٌ وأَنْغَامٍ تَبْعَثُ في الصُّوْرَةِ اَلـحَرَكَةَ، وَتَبُثُّ فِيْهَا اَلـحَيَاةَ"[٥].

أَمَّا **الاستعارةُ** فَنَجِدُهَا في قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿**لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ الواردِ في الآيَةِ:﴿**لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٧٣].

---

[١] التحرير والتنوير (٥٠/٣).
[٢] البحر المحيط (٦٦٩/٢).
[٣] ينظر: جامع البيان (٢٦٧/٤ – ٢٧٧).
[٤] البحر المحيط في التفسير (٦٦٩/٢).
[٥] الإعجاز في نظم القرآن، د.محمود السيد شيخون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (ص١٣٧)..

لَقَدْ سَبَقَتْ الإِشْارَةُ إلى وُجُودِ استعارةٍ في هَذِهْ الجُمْلَةِ، وهِيَ استعَارَةٌ تَصْرِيحيَّةٌ تَبَعِيَّةٌ[1]، حيْثُ شَبَّهَ هيئَة مَنْ لا يترك سَبَبًا لِلْمَسْأَلَةِ إلا وَيَطْرِقُهُ حَتَّى يَنَالَ مَا يُرِيْدُ بِهَيْئَةِ الْمُلْتَحِفِ الَّذِي غَطَّاهُ اللِّحَافُ تَغْطِيَةً تَامَّةً، فَالسَّائِلُ الْمُلِحُّ قَدْ غَطَّتْهُ الْمَسْأَلَةُ وَأَحَاطَتْ بِهِ. وعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِالْمُشْتَقِّ (الإِلْحَافِ) الَّذِي هُوَ عَلَى وَزْنِ (أَفْعَال)،وهو مَصْدَرُ (أَلْحَفَ) الَّذِي عَلَى وَزْنِ (أَفْعَلَ)[2]، وذَلِكَ لِتَصْوِيْرِ هَيْئَةِ الْمُلْتَحِفِ الذي اشتملَ باللِّحَافِ حتى غَطَّاهُ تَغْطِيَةً تَامَّةً.كَمَا إنَّ هَذِه الكَلِمَةَ (اللِّحَافَ) فيها إيحاءٌ بالإِصْرَار، أي: إصْرَارُ السَّائِلِ عَلَى الْمَسْؤول أَنْ يُعْطِيَهُ.

جَاءَ فِي الْكَشَّافِ:"الإِلْحَافُ: الإِلْحَاحُ، وَهُوَ اللُّزُومُ، وَإِنْ لَا يُفَارِقُ إِلَّا بِشَيْءٍ يُعْطَاهُ"[3]، وهُوَ خُلُقٌ دَنِيءٌ يُلجِئُ إلى الضَّجَرِ والسَّآمَةِ؛ مِمَّا يَجْعَلُ الْمَسْؤُولَ يُعْطِي أيَّ شَيْءٍ لِهَذَا السَّائِلِ الْمُلِحِّ حتى يَتَخَلَّصَ مِنْهُ. لكنَّ هَذِهِ الصِّفَةُ مَنْفِيَّةٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءِ الْمَذْكُورين في الآيَةِ بَلْ حَتَّى مُجرَّدِ الْمَسْأَلَةِ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُمْ – كَمَا أَوْضَحْنَا ذَلِكَ سَابِقًا - فَهُمْ مُتَعَفِّفُون لا يَتَعَرَّضُوْنَ لِمَسْأَلَةِ النَّاسِ رَغْمَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ.

- **الْطِّبَاقُ:**[4] نَجِدُ الطِّبَاقَ بِصُوْرَةٍ بَارِزَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٢٧٤]. فَبَيْنَ (اللَّيْلِ والنَّهَارِ) و(السِّرِّ والعَلانِيَةِ) طِبَاقٌ. إنَّ الآيَةَ جَاءَتْ بِمَدْحِ الْمُؤمنين الْمُنْفِقِين فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ مِنْ حَيْثُ حِرْصِهِمْ عَلَى عَدَمِ تَفْوِيْتِ أيَّةِ فُرْصَةٍ لِعَمَلِ الْخَيْرِ، فَلِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ عَمَلَهُمْ الْخَيْرَ وَإِنْفَاقَهُمْ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى زَمَنٍ مَحَدَّدٍ أَوْ حَالٍ بِعَيْنِهَا، بَلْ إِنَّهُ يَعُمُّ الأَوْقَاتَ **﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾**، وتَتَنَوَّعُ فِيْهِ الْحَالَاتُ **﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾**،وهَذَا يَرْتَبِطُ بِالْمَوْقِفِ الَّذِي يَمُرُّ بِهِمْ.. فَإِنْ سَأَلَهُمْ مُحْتَاجٌ أَمَامَ الْمَلَأِ لَمْ يَمْتَنِعُوا مِنْ قَضَاءِ حَاجَتِهِ وَإِعْطَائِهِ مَسْأَلَتَهُ، بِحُجَّةِ أَنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ خَيْرُ مِنْ

---

[1] **الاستعارة** هي: تشبيه حذف احد طرفيه ووجه الشبه والأداة. وتنقسم إلى استعارة تصريحية واستعارة مكنيَّةٍ، وهذا باعتبار ما ذكر من الطرفين. وإلى استعارة أصلية واستعارة تبعية باعتبار اللفظ الْمُستعار .**فالاستعارة التصريحية التبعية** إذن هي : ما حذف فيها المشبه وصرح بذكر لفظ المشبه به . كونها تبعية لان اللفظ المستعار اسم مشتق . ينظر: جواهر البلاغة (ص٢٥٨ – ٢٦٤).

[2] ينظر: أدب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص٦٣٧)..

[3] الكشاف (٣١٨/١).

[4] **الطِّباقُ** هو: أن يجمع في كلامٍ واحدٍ بين معنى ومُقابله أو ضِدِّه، ويكون بلفظين من نوع واحدٍ؛ كاسمٍ واسمٍ أو فعلٍ وفعلٍ أو حرفٍ وحرفٍ، أو بلفظين من نوعين مختلفين؛ كاسمٍ وفعلٍ. واللَّفظان الْمُتقابلان إمَّا أن يتَّفِقَا في الإيجابِ أو السَّلْبِ، وإمَّا أن يكونَ أحدهما موجبٌ، والآخَرُ مَنْفِيٌّ. ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة،(١٦٣/١- ١٦٤).

صَدَقَةِ الْعَلَنِ، وَلَا بِحِجَّةِ خَوْفِ الرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ .. لَكِنَّهُمْ حَرِيْصُوْنَ أَيْضًا عَلَى صَدَقَةِ السِّرِّ؛ رِعَايَةً لِمَشَاعِرِ الْمُحْتَاجِيْنَ وَعَدَمِ خَدْشِ كَرَامَتِهِمْ.

لَقَدْ أَثْنَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْفِقِيْنِ بِبَيَانِ عُمُومِ صَدَقَاتِهِم جَمِيْعَ الأَوْقَاتِ.. فَذَكَرَتْ الزَّمَنَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ(اللَّيْلَ) و(النَّهَارَ)..كَمَا ذَكَرَتْ اِخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي ذَلِكَ الإِنْفَاقِ، فَمَرَّةً يَكُوْنُ (سِرًّا) وَأُخْرَى (عَلَانِيَةً)..يَحْكُمُ ذَلِكَ اِخْتِلَافُ الظُّرُوْفِ التي تَلْجَأُهُمْ إلى اِخْتِيَارِ أَحَدِ ذَانِكَ الْحَالَيْن. وذَكَرَتْ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُصُوْلِهِمْ عَلَى الأَجْرِ الْعَظِيْمِ مِنْ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – وأَمْنِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: **﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**.

- **الْمُقَابَلَةُ:**[1]

أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فَهِيَ بَارِزَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٦٨]. وقُوْبِلَ هُنَا بَيْنَ وَعْدِ الشَّيْطَانِ وَوَعْدِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى - فَوُجُوْدُ هَاتين الصُّوْرَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ بَيْنَ بَعْضِهِمَا الْبَعْض؛ يَجْعَلُ الأَمْرَ ظَاهِرًا جَلِيًّا أَمَامَ الْمُخَاطَبِ، لِيُقَارِنَ بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَخْتَارُ الطَّرِيْقَ الَّذِي يَرَى فِيْهِ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ.

فالشَّيْطَانُ يَعِدُ الإِنْسَانَ الْفَقْرَ إِنْ هُوَ أَخْرَجَ مِنْ أَمْوَالِهِ مُزَكِّيًا أَوْ مُتَصَدِّقًا، حَيْثُ يُوَسْوِسُ إليه أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ سَيَنْقُصُ مِنْ مَالِهِ، وَلَا يَكْتَفِي بِهَذَا فَحَسْبُ، بَلْ يُغْرِيْهِ بِأَنَّ صَرْفَ هَذِهِ الأَمْوَالِ في وُجُوْهِ التَّلَهِّي والتَّسَلِّي خَيْرٌ لَهُ؛ لِمَا فِيْهَا مِنْ تحقيق لرغباته وإشباع لشهواته.وفي مُقَابِلِ هَذَا نَجِدُ أَنَّ الله – تبارك وتعالى – يَعِدُ مَنْ وَقَعَ في حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَفَعَلَ الفَوَاحِشَ بالسَّتْرِ عليه والصَّفْحِ عنه، وأَنَّهُ مَنَّى مَا أَطَاعَهُ وأَدَّى حُقُوقَ الْمَالِ التي عليه وأنفقَ في سبيلِ اللهِ فَإِنَّهُ سيُعوِّضُ عليه مَا أَخْرَجَهُ، وسيضاعفُ له في ماله، وَسيُوسِّعُ لَهُ في رِزْقِهِ. وابتداءُ الجُملةِ بالْمُسندِ إليه (الشَّيْطَانُ)، وكذلِكَ ابتداءُ الجُمْلةِ الْمَعطوفةِ بِلَفْظِ الجلالَةِ (الله) فيه لَفْتٌ للانتبَاهِ مِنْ الوَهْلَةِ الأولى إلى أنَّ مَا سيذكرُ بعدَ كلمةِ (الشَّيْطَانِ) شَرٌّ يُحذِّرُ مِنْهُ، وأنَّ مَا بعدَ لَفْظِ الجلالة (الله) خيرٌ مأمورٌ به..فتشمئِزُّ النَّفْسُ من الشَّيطان وَخُبْثِهِ ونَجَسِهِ، بَيْنَمَا تَنْشَرِحُ بذكرِ اسمِ (الله) وتطمئِنُّ وتَصْفُو. ثُمَّ إِنَّهُ هُنَا لَمْ يَأْتِ أمرٌ ولا نَهيٌ، بَلْ هُوَ إخبارٌ عن حَالِ الشَّيْطَانِ مَعَ الإِنْسَانِ ونَزْغِهُ وَوَسْوَسَتِهِ، في مُقَابِلِ حَالِ (الله) تَبَارَكَ وتَعَالى مَعَ الْمُؤْمِنِ الْمُطِيْعِ.فَتَنْشَأُ مِنْ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ والْمُقَارَنَةُ تُمَكِّنُ الْمَعْنى في نَفْسِ السَّامِعِ، فَيَصِيْرُ مُتَيَقِّظَ الذِّهْنِ، وَاضِعًا

---

[1] **المقابلة** هي: الإتيان بمعنيين فأكثر في الكلام ،ثم الإتيان بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب . ينظر البلاغة العربية :٢/٣٨٠ .

للصُّورتين أمامه، مُقَارِنًا بينهما.فَيَسْهُلُ عليه اختيارُ الخيرِ والصَّوَابِ، وَمَا فيهِ صَلاحُ حَالِهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

ويُلاحظُ أنَّهُ بدأ الحديثَ عن وَعْدِ الشَّيطانِ بالإخبارِ أنَّهُ يَعِدُ مَنْ يُريدُ الإنْفَاقَ بالفَقْرِ، لِيخَوِفَهُ مِنْ البَذْلِ والعَطاءِ ثُـمَّ عَطَفَ الإخْبَارَ عَنْ وسوسَتِهِ التي تُغْرِي إلى فِعْلِ الفَوَاحِشِ. بينما بدأ الإخبارُ عَنْ وَعْدِ الله بالوَعْدِ بالْمَغْفِرَةِ، التي هي سَتْرُ الأعْمَالِ السَّيِّئَةِ التي يعملُها الْمَرْءُ والصَّفْحُ عنها، ثُمَّ عَطَفَ قولَه:**﴿وَفَضْلاً﴾** الذي يُرادُ بهِ أنَّ الله – تبارك وتعالى – يَعِدُ الإنسانَ الْمُنفقَ بالتَّوسيعِ عليه في رِزْقِهِ والْمُبَارَكَةِ لَهُ فيه، على عكسِ وَعْدِ الشَّيْطانِ لِلْمُنْفِقِ بالفَقْرِ.

فنرى أنَّهُ قد بدأ الحديثَ عَنْ وَعْدِ الشَّيطانِ بالفَقْرِ، بينمَا أخَّرَ وَعْدَ الله – تعالى – للمُنْفِقِ بالتَّوسيعِ والبَركةِ، وذلك أنَّهُ حِيْنَمَا تَنى وَعْدَ الشَّيطانِ بالأمرِ بالفَحْشَاءِ جعل لصيقاً لَهَا وَعَد الرحمن بالمغفرةِ، وذلك أنَّ الذِّهْنَ لا يزالُ مَشْغولاً بأمْرِ الفَحْشَاءِ وعَوَاقِبِهَا، فَيُبَادِرُهُ ذِكْرُ وَعْدِ الله ﷻ له بمغفرتِها إنْ هُوَ عَادَ إليه وَاخْتَارَ طَرِيْقَهُ، مِمَّا يَجْعَلَهُ أشَدَّ رَغْبَةٍ في اختيارِ مَا وَعَدَ الله بهِ، وأحْرَصَ عَلَى اِمْتِثَالِهِ.

وَذُيِّلتْ الآيةُ بقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**؛ لتحفيزِ الْمَرْءِ إلى اختيارِ سبيلِ الله – تبارك وتعالى – وترجيحِ كِفَّةِ مَا وَعَدَ اللهُ – تعالى – به على كِفَّةِ وُعُودِ الشَّيْطَانِ السَّاقِطَةِ **﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾**[النساء:١٢٠].فهو تعالى وَحْدَهُ الْمُتَّصِفُ بالتَّوْسيعِ على عِبَادِهِ الْمُطِيْعِيْنَ الْمُخْلِصِين، والتَّقتيرِ عَلَى مَنْ يُخَالِفُهُ، فَالرِّزْقُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، وَقَدْ أحَاطَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيُجَازِي كُلٍّ بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيْثُ عَنْهَا.

اَلـمَبْحَـثُ اَلثَّـانِي

أسَالِيْبُ اَلتَّحْذِيْرِ مِنْ مَنْعِ الصَّدَقَةِ وَالتَّنْفِيْرُ مِمَّا يُبْطِلُ أجْرَهَا

- **اَلأسَالِيْبُ اَلْخَبَرِيَّةُ:**

تأتي الجملُ الخبريَّةُ في سِيَاقِ التَّبصيرِ بِإحَاطَةِ عِلْمِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – بِكُلِّ شَيْءٍ، والتَّذْكِيرِ بِذَلك، والتَّحذيرُ مِنْ الإِنْفَاقِ فِي غيرِ مَا يُرْضِي اللهَ ﷻ، وَهَذَا مَا جَاءَ في قوله تعالى:**﴿وَمَا أنفقتُم مِّن نَّفقةٍ أوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أنصَارٍ﴾**[البقرة:٢٧٠]؛أي:"ومَا أنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ في سبيلِ اللهِ أوْ في سَبيلِ الشَّيْطَانِ،أو نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ في طَاعَةِ اللهِ أو في مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ، لا يَخْفَى عليه وَهُوَ مُجَازِيكم"[١]. فجميعُ مَا يَصْدِرُ مِنْ اَلمَرْءِ في أُمُورِ النَّفَقَاتِ والصَّدَقَاتِ والنُّذُوْرِ يَعْلَمُهُ اللهُ، و"لا يَعْزِبُ عَنْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، ولا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ قَلِيْلٌ ولا كثيرٌ، ولكنَّهُ يُحْصِيهِ أيُّهَا النَّاسُ عليكم حتى يُجَازيكم جميعكم على جميعِ ذَلِكَ"[٢]. واستعملَ لِهَذَا اَلمَعْنى أُسْلُوبَ الشَّرْطِ، واُخْتِيرتْ (مَا) الشَّرْطِيَّةُ اَلمُبْهَمَةُ؛ لِإِفَادَةِ تَحقُّقِ وُقُوعِ اَلجَوَابِ عَلَى كُلِّ نَفَقَةٍ يَنْفِقُهَا صَاحِبُهَا أَوْ نَذْرٍ يَنْذُرُهُ.وجَوَابُ الشَّرْطِ **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾** هو "كنايةٌ عن الجزاءِ عليه؛ لأنَّ عِلْمَ الله بِالكائنَاتِ لا يَشُكُّ فيه السَّامِعُون، فأُرِيدَ لازم مَعْنَاهُ، وَإنَّمَا كَانَ لازماً لَهُ، لأنَّ القَادِرَ لا يَصُدُّهُ عَنْ اَلجَزَاءِ إلا عَدَمُ العِلْمِ بِمَا يَعْمَلُهُ اَلمُحْسِنُ واَلمُسِيْءُ"[٣].

أمَّا قوله **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أنصَارٍ﴾** فهو وعيدٌ قُوْبِلَ بِهِ الوَعْدُ الذي جَاءَ مُكَنًّى عنه في الجُمْلَةِ السَّابِقَةِ **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾**"[٤]. و(الظَّالِم) هو (الوَاضِعُ لِلشَّيْءِ في غيرِ مَوْضِعِهِ، وَإنَّمَا سَمَّيَ اللهُ اَلمُنفقَ رِيَاءَ النَّاسِ والنَّاذرَ في غيرِ طَاعَتِهِ ظَالِمًا، لِوَضْعِهِ إنْفَاقَ مَالِهِ في غيرِ مَوْضعِهِ ونَذْرِهِ في غيرِ مَالِهِ وَضَعَه فيه، فكانَ ذَلِكَ ظُلْمُهُ"[٥].فيجد هذا الظَّالِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ أنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ اللهِ، فيدفعُ عَنْهُ عِقَابَهُ بَقُوَّةٍ أو شِدَّةِ بَطْشٍ أو فِدْيَةٍ.[٦]

وَتَأْتي تَذْيِيلاً لِلآيَاتِ،كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** الذي جاء تذيلاً لقوله تعالى:**﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ**

---

[١] الكشاف (٣١٦/١).
[٢] جامع البيان (١٣/٥).
[٣] التحرير والتنوير (٦٦/٣).
[٤] ينظر المصدر السابق نفسه (٦٦/٣).
[٥] جامع البيان (١٣/٥).
[٦] ينظر المصدر السابق نفسه (١٣/٥).

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤].لقد جاء في هذه الآية نَهْيُ المُؤمنين عَنْ إِبْطَالِ نَفَقَاتِهِمْ وَإِحْبَاطِهَا، وَعَدَمُ حُصُولِهِمْ عَلَى الأَجْرِ عليها، وذلك عند إِتْبَاعِهَا بِالْمَنِّ والأَذَى. وَضَرَبَ لَهُمْ الْمَثَلَ بِالْمُرَائِي الَّذِي يَقْصِدُ بِنَفَقَاتِه النَّاسَ لا وَجْهَ الله – تبارك وتعالى – فيكونُ هَذَا سَبَبًا في حُبُوْطِ عَمَلِهِ. وَضَرَبَ لِهَذَا الْمُرَائِي مَثَلاً تَتَّضِحُ فيه الْحَسْرَةُ والنَّدَمُ حين لا ينفعُ ذلك، فَلَقَدْ شَبَّهَ حَالَهُ بِحَالِ زَارِعٍ بِدْرٍ في تُرَابٍ يَحْسَبُهُ أَرْضًا طَيِّبَةً، وَحِيْنَ نَزَلَ الْمَطَرُ فَرِحَ وَاسْتَبْشَرَ،لأَنَ هَذَا الْمَطَرَ سَيَرْوِي الأَرْضَ فَتَنْمُو النَّبَاتَاتُ وَتَزْهُو، لكِنَّهُ يُفَاجَئُ أَنَّ ذَلِكَ التُّرابَ كانَ عَلَى صَخْرٍ أَمْلَسَ، فَبِمُجَرَّدِ نُزُولِ الْمَطَرِ زَالَ ذَلِكَ التُّرابُ؛ لِيُسْفِرَ عَنْ حَقِيْقَةٍ صَادِمَةٍ ..إِنَّهُ حَجَرٌ صَلْدٌ أَمْلَسُ، وَلَيْسَ أَرْضًا طَيِّبَةً. فَجَاءَ بِهَذَا التَّذييلِ لِتَحْذِيرِ الْمُؤمنين مِنْ الاتِّصَافِ بِصِفَاتِ أَهْلِ الْكُفْرِ والنِّفَاقِ والرِّيَاءِ، فَيَحْرِصُونَ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى عَدَمِ اِتِّبَاعِ صَدَقَاتِهِمْ بِالْمَنِّ والأَذَى، لِيَجِدُوا أَجْرَهَا عِنْدَ الله – تَبَارَكَ وَتَعَالى – يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ.

وقوله تعالى:**﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**جاء تذييلاً لقوله تعالى:**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[البقرة:٢٦٦].

فبعدَ أنْ ضُربَ مِثَلٌ لِلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ لِغَيرِ وَجْهِ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – ثُمَّ يَنْتَظِرُ الأَجْرَ عَلَيْهِ، فَيَتَفَاجَأُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ – حَيْثُ لا عَوْدَةَ إِلى الدُّنْيَا وَلا عَمَلَ – بِأَنَّ عَمَلَهُ مُحْبَطٌ، وَلا أَجْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيَنْدَمُ هُنَاكَ أَشَدَّ النَّدَمِ، وَيَتَحَسَّرُ حَسْرَةً عَظِيْمَةً. فَبَعْدَ هَذَا الْمَثَلِ الْمَضْرُوْبِ يَأْتي التَّذْيِيل، قوله تعالى:**﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَ﴾**؛"أي: كهذا البَيَانِ الَّذِي فيه تقريبُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوْسِ بين الله نَصْحًا لَكُمْ رَجَاءَ تَفَكُّرِكُمْ في العَوَاقِبِ، حَتَّى لا تكونوا على غَفْلَةٍ"[1]. فَقَد شَبَّهَ خَيْبَةَ أَمَلِ الْمُنْفِقِ لِغَيرِ وَجْهِ الله-تعالى – يومَ القِيَامَةِ عِنْدَمَا يَتَأَمَّلُ حُصُولَهُ عَلَى أَجْرِ مَا أَنْفَقَ في الدُّنْيَا، فَلا يَجِدُ لَهُ أَيَّ أَجْرٍ، وَهُوَ أَمْرٌ مَعْقولٌ، بِحَالِ خَيْبَةِ أَمَلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الكبير في السِّنِّ، الكثير العِيَال، الَّذِي لَهُ جَنَّةٌ عَظِيْمَةٌ فِيْهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وَحِيْنَ كَانَ سَعِيْدًا بِهَا يَنْتَظِرُ وُصُولَ نَفْعِهَا عليه وعلى عِيَالِهِ، إِذْ بِهَا تَحترقُ وتفنى، فلا يبقى منها شيءٌ، وهُوَ لا يستطيعُ عَمَلَ شيءٍ حِيَالَ ذلك، لِعَجْزِهِ وَضَعْفِ ذُرِيَّتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ مَحْسُوسٌ. فَجَاءَ هَذَا التَّذْيِيْلُ لِلتَّأْكِيْدِ عَلَى رحمة الله ﷻ بِعِبَادِهِ، حيثُ يَضْرِبُ لَهُمْ الأَمْثَالَ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا وَيُقْدِمُوا عَلَى عَمَلِ الصَّوَابِ قَبْلَ فَوَاتِ الآوَانِ.

---

[1] التحرير والتنوير (٣/٥٥).

• اَلْأسَالِيْبُ اَلإِنْشَائِيَّةُ:

١- نِدَاءٌ يَلِيْهِ أَمْرٌ:

جاءَ هَذَا في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[البقرة:٢٥٤]. لَقَدْ بُدَأَتْ اَلآيَةُ اَلكريمةُ بِالنِّدَاءِ..نِدَاءَ اَلمُؤْمِنين الَّذِيْنَ تَرَسَّخَ اَلإيمَانُ في قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ أُرِيْدَ مِنْ هَذَا النِّدَاءِ لَفْتَ اِنْتِبَاهِهِمْ، وَاسْتِرعَاءَ أَسْمَاعِهِمْ، حتَّى يُنْصِتُوا جَيِّدًا لِمَا سَيَلِي هَذَا النِّدَاءَ. فَمَا نُوْدُوا إلَّا لِإرَادَةِ تَفْرِيغِ أَذْهَانِهِمْ مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ؛ لِيُصْبِحَ تَرْكِيْزُهُمْ كُلُّهُ مُنْصَبٌّ عَلَى سَمَاعِ مَا يلي ذلك النِّدَاءَ، فَتَعِيْهِ قُلُوْبُهُمْ وتَحْفَظُهُ.

تَلى ذلك النِّدَاءَ أَمْرُ اَلمُؤمنين:**﴿ أَنْفِقُوا مِمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**، فَأَمَرَهُمْ بِالإِنْفَاقِ، وَامْتَنَّ عليهم بقوله:**﴿ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾** ليتنبهُوا إنْ كانوا غافلين إلى أن ما في أيديهم هو من رزق الله – تبارك وتعالى – لهم ،حتى لا يخطر ببال أحد أن ما في يده هو ملك شخصي، فيمَنْ به على الآخرين من اَلمُحْتَاجِين واَلمَعُوزِين.

ثُمَّ نَبَّهَهُمْ إلى أَمْرٍ عظيمٍ، قد يكونون عنه غافلين، فقال: **﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾**؛أي: مِنْ قَبْلِ مَجيءِ يَوْمٍ لا تقدرون فيه على نَفْعِ أَنْفُسِكُمْ بعملِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَرِّبَكُمْ مِنْ الله تعالى، فهو يومُ جَزَاءٍ وثَوَابٍ وعِقَابٍ، وكَذَلِكَ لا تَجِدُوْنَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى.

وفي انتفاءِ البَيْعِ والخِلَّةِ والشَّفَاعَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ "كناية[1] عن تعذُّرِ التَّدَارُكِ للفَائِتِ،لأنَّ اَلمَرْءَ يَحصلُ مَا يَعُوْزُهُ بِطُرُقٍ هِيَ اَلمُعَاوضَةُ اَلمُعبَّرُ عَنَهَا بالبَيْعِ، والارتفَاقِ من الغَيْرِ، وذلك بِسَبَبِ اَلخُلَّةِ، أَوْ بِسَبَبِ تَوْسِيْطِ اَلْوَاسِطَةِ إلى مَنْ لَيْسَ بِخَلِيْلٍ"[2].ثُمَّ ذُيِّلَتْ الآيَةُ بقوله:**﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**،تَخْوِيفًا للمُؤمنين من الاتِّصَافِ بِصِفَاتِ أَهْلِ الكُفْرِ، مِنْ ظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ حين يعملُون مَا لا يرضى الله – تبارك وتعالى – عنه،كامتناعهم عن الإِنْفَاقِ في سبيلِ الله ﷻ؛ مِمَّا يصيبُهم بالنَّدَمِ والحَسْرَةِ في ذلِك اليومِ الذي **﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾**، وسيأتي مزيدٌ من الحديث عنها لاحقاً .

٢- نِدَاءٌ يَلِيْهِ نَهْيٌ:

لقد تنوَّعَ القُرْآنُ الكريمُ في أَسَالِيْبِ التَّحْذِيرِ مِنْ مَنْعِ الصَّدَقَاتِ، والتَّنفيرِ مِمَّا يُبْطِلُ أَجْرَهَا. فوجدنا أنَّهُ في الآيةِ السَّابِقَةِ اسْتَخْدَمَ أُسْلُوْبَ النِّدَاءِ، وَتَبِعَهُ بالأَمْرِ

---

[1] **الكناية** هي: لفظٌ أُطْلِقَ وأُريدَ لازم معناه الحقيقي لقرينة لا تمنع من إرادة هذا المعنى مع المعنى المراد . المنهاج الواضح للبلاغة (٢٢٧/٣).

[2] التحرير والتنوير (١٤/٣).

بالإنْفَاق، ثُمَّ نَجِدُهُ في آيَةٍ أُخْرَى يَستخْدِمُ أُسْلُوْبَ النِّدَاءِ أيضًا لكنَّهُ يُتْبِعَهُ في هَذِهِ المَرَّةِ بالنَّهي، فَيَنْهَى المُنْفِقَ عَنْ عَمَلِ أعْمَالٍ تَبْطُلُ أجْرَ نَفَقَتِهِ في سبيلِ اللهِ. وفي هَذَا تَلَطُّفٍ مِنْ اللهِ ﷻ بِعِبَادِهِ المُؤْمِنِيْنِ مِمَّنْ بَادَرُوا بالإنْفَاق؛ اِسْتِجَابَةً لِأَمْرِهِ حِيْنَ قَالَ:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾**، فلرحمته تعالى بهم ينبههم إلى ما يكون سبباً في عدم حُصُول خير تلكَ النَّفَقَاتِ عليهم، فالنَّفَقَةُ الخَالِصَةُ لِوَجْهِ اللهِ – تعالى – التي يُراعِي فيها المُنْفِقُ شُرُوطَهَا وآدَابَهَا تعودُ عليه بالخيرِ العَظِيمِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ. قال تعالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[البقرة:٢٦٤].

لقد نَهى تَبَارَكَ وتَعَالى عِبَادَهُ المُؤْمنين بَعْدَ أنْ نَادَاهُمْ ولَفَتَ اِنْتِبَاهَهُمْ واِسْتَرْعَى أسْمَاعَهُمْ عَنْ إبْطَالِ عَمَلِهِمْ الطَّيِّبِ الذي هو خَالِصٌ لِوَجْهِهِ الكريمِ وفي سبيلِهِ؛ بِعَمَلِ أعْمَالٍ قَدْ يَحْتَقِرُهَا البَعْضُ ويَسْتَصْغِرُهَا، في حين أنَّها تَتَسَبَّبُ في إحْبَاطِ النَّفَقَةِ، والحِرْمَانِ مِنْ أجْرِهَا.. إنَّ المَنَّ على المُنْفَقِ عليه وإيْذَاؤُهُ ولو بِنَظْرَةٍ أو كَلِمَةٍ يُبْطِلُ تِلْكَ النَفَقَة، ويُحْبِطُ أجْرَهَا، وَقَدْ ضُرِبَ هَذَا العَمَلُ – المَنُّ والأذَى – بِهَذِهِ المُقَابَلَةِ العَظِيْمَةِ؛ وَهُوَ إحْبَاطُ الأجْرِ، لِمَا فيه من ضَرَرٍ بَالِغٍ يَلْحَقُ بالمُنْفَقِ عليه، حَيْثُ إنَّهُ يَتَأَذَّى نَفْسِيًّا وَيَتَأَلَّمُ جَرَّاءَ المَنِّ عَلَيْهِ أوْ إيْذَائِهِ..

فَنَعْرِفُ مِنْ هُنَا مَدَى حِرْصِ دِيْنِنَا العَظِيْمِ عَلَى المُسْلِمِ وَعَلَى سَلَامَتِهِ وعَلَى كَرَامَتِهِ مِنْ أنْ تُخْدَشَ؛ فَضْلاً أنْ تُهَانَ وتُحْتَقَرَ.

وَلِشِدَّةِ حِرْصِ القُرآنِ الكريمِ على المُؤمِنِ المُنْفِقِ مِنْ أنْ تُبْطَلَ نَفَقَتُهُ أتْبَعَ ذلك النَّهْيَ بِضَرْبِ مَثَلٍ؛ يَجْعَلُ المَعنى يَتَّضِحُ في ذِهْنِهِ أكْثَرَ وأكْثَرَ، ويَتَمَكَّنُ مِنْ تَصَوُّرِهِ بِأبْعَادِه المُختلفَةِ، فَيَرى بِعَيْنِهِ مَا كَانَ خَافِيًا عليه، ويَشْعُرُ بِوِجْدَانِهِ مَا كَانَ غَائِبًا عَنْهُ. قال تعالى:**﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**.ثُمَّ يُصَوِّرُ حَالَ هَذَا المُرَائِي بِصُوْرَةٍ حِسِيَّةٍ حَتَّى يَقتربَ المَعْنى وَيَتَّضِحَ المَقْصَدُ، فَيَقُوْلُ تَعَالى:**﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾**...وَسَيَأتِي تَفْصِيْلُ أسْرَارِ هَذَا التَّشْبِيْهِ البَلاغِيَّةِ لاحِقًا.

٣-نِدَاءٌ يَلِيْهِ أمْرٌ يَعْقُبُهُ نَهْيٌ:

وهذا جَاءَ في قوله تعالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾** [البقرة:٢٦٧]. لكن سيؤجل تحليل هذه الآية .. فالأسلوب البلاغي البارز فيها هو (المُقَابَلَةُ) بين الأمرِ والنَّهْي.

٤-اَلاسْتِفْهَامُ:

وَمِن التَّنْوِيْعِ في الأسَالِيْبِ اِسْتِخْدَامُ أُسْلُوبِ الاِسْتِفْهَامِ الَّذِي أُرِيْدَ مِنْ خِلَالِهِ أيضًا التَّأكيدَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِ اَلْمُنْفِقِ أنْ يكونَ حَرِيْصًا أشَدَّ اَلـحِرْصِ عَلَى عَدَمِ عَمَلِ أيِّ عَمَلٍ يُؤَدِّي إلى إبْطَالِ أجْرِ نَفَقَتِهِ. وَجَاءَ هَذَا الاسْتِفْهَامُ في صَدْرِ مَثَلٍ جِيْءَ بِهِ لِـهَذَا اَلْغَرَضِ، قال تعالى:**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[البقرة:٢٦٦]. والغَرَضُ مِنْ الاسْتِفْهَامِ الإنْكَارُ[١]. وَقِيْلَ التَّبْعِيْدُ والنَّفْيُ،أي مَا يَوَدُّ أَحَدٌ ذلك[٢]؛ فَكُلُّ عَاقِلٍ لا يَرْغَبُ أنْ يكونَ مَكَانَ هَذَا الشَّيْخِ، ولا يَتَمَنَّى أحَدٌ ذَلِكَ أبَدًا. وَكَذَلِكَ يُنكِرُ عَلَى مَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ ثُمَّ يُبْطِلُ أجْرَهُ بِالرِّيَاءِ أوْ اَلْمَنِّ أوْ الأذَى فِعْلَهُ. فَكُلُّ عَاقِلٍ يَبْتَغِي وَجْهَ الله – تبارك وتعالى – والدَّارَ والآخِرَةَ يَتَوَخَّى اَلْحَذَرَ من وقوعه في هذه الأعمال اَلْمُحْبِطَةِ لِلأجْرِ، اَلْمُبْعِدَةِ عَنْ رِضَا الله تعالى. وسيأتي تَفْصِيْلُ الحديْثِ عَنْ أُسْلُوبِ التَّشْبِيْهِ في الآيَةِ لَاحِقًا.

٥- اَلأمْرُ:

جَاءَتْ الجملةُ الإنْشَائِيَّةُ (الأمرُ) **﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ تذييلًا لقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[البقرة:٢٦٧].

فَجَاءَتْ بعدَ نِدَاءٍ وأمرٍ ونَـهيٍ.. لَقَدْ صُدِّرَتْ الآيَةُ بِنِدَاءِ اَلْمُؤمنين لأمْرِهِمْ بالإنْفَاقِ مِنْ الطيِّبَاتِ، وَنَـهْيِهِمْ عَنْ إنْفَاقِ مَا خَبُثَ مِمَّا لَا يَرْضُوْنَهُ لأنْفُسِهِمْ لَوْ قُدِّمَ إلَيْهِمْ.فَكَانَ خِتَامُ الآيَةِ بهذا الخِتَامِ البَلِيغِ الذي يَنُصُّ على غِنى الله – تبارك وتعالى – عَمَّا في أيْدِي النَّاس، فَهُوَ رَازِقُهُمْ بها، وهُوَ حميدٌ يَحْمِدُ مَنْ يَتَصَدَّقُ وَيُنْفِقُ نَفَقَاتٍ خَالِصَةٍ لِوَجْهِهِ، وَيَحْمِدُهُ عِبَادُهُ عَلَى إنْعامِهِ وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ.

وجاءتْ هَذِهِ اَلْمَعَانِي تَحْتَ مَظَلَّةِ اَلأمْرِ، فَهُوَ – تبارك وتعالى – يأمرُ عِبَادَهُ بِأنْ يَعْلَمُوا أنَّهُ هُوَ الغَنِي الحميدُ. وفي هَذَا الأُسْلُوبِ نَوْعُ تَغْلِيْظٍ، فَعَلَى اَلْمُنْفِقِ حينَ يُنْفِقُ أنْ يَعْلَمَ مَنْ هُوَ الله ﷻ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْ بين يديه إلَّا الطَّيِّبُ الزَّاكي، فهو ﷻ لَيس بحاجَةٍ لِنَفَقَاتِ اَلْمُنْفقين، فَإنَّ هَذِهِ النَّفَقَاتِ يَعُوْدُ نَفْعُهَا عَلَيْهِمْ بِالدَّرَجَةِ الأوْلَى. وحينَ يَعْلَمُ اَلْمُنْفِقُ هَذَا الأمْرَ وتَسْتَقِرُّ هَذِهِ اَلْمَعَانِي في نَفْسِهِ

---

[١] ينظر الكشاف (٣١٣/١).

[٢] ينظر البحر المحيط في التفسير (٦٧١/٢).

وَيُدْرِكُهَا عَقْلُهُ تَمَامَ الإِدْرَاكِ؛ سَيَكُوْنُ حَرِيصًا على اتِّبَاعِ الأَمْرِ الإِلَهِيِّ في الإِنْفَاقِ من الطَّيِّبَاتِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ مِنْ تَيَمُّمِ الخَبِيْثِ عِنْدَ الإِنْفَاقِ.

جاءَ في جَامِعِ البَيَانِ:"واعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللهَ ﷻ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ وَعَنْ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا وَفَرَضَهَا في أَمْوَالِكُمْ رَحْمَةً مِنْه لَكُمْ، لِيُغْنِيَ بِهَا عَائِلَكُمْ، وَيُقَوِّيَ بِهَا ضَعِيْفَكُمْ، وَيُجْزِلُ لَكُمْ عَلَيْهَا في الآخِرَةِ مَثُوْبَتَكُمْ لَا مِنْ حَاجَةٍ به فِيْهَا إِلَيْكُمْ"[1]. وكذلك هُوَ (حَمِيْدٌ)؛ أي: أَنَّهُ شَدِيْدُ حَمْدِ مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، أَوْ أَنَّهُ (حَمِيْدٌ)؛ أي: مَحْمُودٌ على إِنْعَامِهِ وَتَفَضُّلِهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَيَحْمَدُهُ عِبَادُهُ عَلَى كُلِّ مَا أَوْلَاهُ لَهُمْ مِنْ النِّعَمِ.

٦- الحَذْفُ:

نُلاحِظُ في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[البقرة:٢٥٤]،حَذْفًا لِشِبْهِ الجُمْلَةِ (فِيْهِ) بَعْد (خُلَّةٍ) و(شَفَاعَةٍ)، والتي ذكرت بعد (بيعٍ)، وهي في محلَّ رَفْع خَبَرٌ لكلمةِ (بيع) التي هي مبتدأ. فالحَذْفُ هُنَا جَاءَ لِغَرَضِ الإِيْجَازِ والاخْتِصَارِ. حَيْثُ اكتَفَى بـ(فيه) المَذْكُوْرة ولم تُكَرَّرْ، لِوُضُوْحِ المُرَادِ وَظُهُوْرِهِ.والمعنى: لا بيعٌ فيه؛ أي: لا فِدْيَة فِيْهِ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ. ولَا خُلَّةٌ فيه، فلا صَدَاقَة تقتضِي المُسَانَدَةَ كَمَا كَانَ ذَلِكَ في الدُّنْيَا. ولَا شَفَاعَةَ فِيْهِ، والشَّفَاعَةُ هُنَا إِمَّا أَنْ يُرَادَ أَنْ"اللَّفْظ عَامٌّ، والمُرَادُ الخُصُوص،أي: ولا شَفَاعَةَ لِلْكُفَّارِ، أَوْ أَنْ يكونَ المُرَادُ العُمُومَ، والمُعْنى أَنَّ اِنْتِدَابَ الشَافِعِ وتَحَكُّمَهُ عَلَى كُرْهِ المَشْفُوْعِ عِنْدَهُ لا يكونُ يومَ القِيَامَةِ أَلْبَتَّة، وأَمَّا الشَّفَاعَةُ التي تُؤْخَذُ بِالإِذْنِ مِنْ الله – تعالى – فَحَقِيْقَتُهَا رحمةُ الله، لَكِنْ شَرَّفَ تعالى الذي أَذِنَ لَهُ في أَنْ يَشْفَعَ"[2].

وَنَجِدُ الحَذْفَ أَيْضًا في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[البقرة:٢٦٦]. حَيْثُ حَذْفَ مُتَعَلِقَ الفِعْلِ**﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾**. فَبَعْدَ أَنْ ضَرَبَ المَثَلَ لِلَّذِي يُرَائِي بِنَفَقَتِهِ ثُمَّ لا يَجِدُ لَهَا أَجْرًا ولا ثَوَابًا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا، ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالى يُبَيِّنُ لَنَا في هَذَا القُرْآن العَظِيمِ كُلَّ مَا فيه خَيْرٍ ونَفْعٍ وفَائِدَةٍ، فَكَانَ حَذْفُ المُتَعَلَّقِ مِنْ الفِعْلِ**﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾**؛ لِيُتِيْحَ لِلعَقْلِ مَجالاً وَاسِعاً لِلتَّفَكُّرِ في كُلِّ شَيْءٍ .. في رحمةِ الله الذي يَضْرِبُ لَنَا الأَمْثَالَ حتَّى نَتَّعِظَ ونَعْتَبِرَ.. وفي كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الإِنْسَانُ، حَيْثُ يَنْبَغِي الحِرْصُ عَلَى سَلَامَةِ النِّيَّةِ وَصَفَاءِ القَصْدِ، وَعَدَمِ الإِشْرَاكِ

---

[1] جامع البيان (٤/٧١١).
[2] ينظر البحر المحيط (٢/٦٠٠، ٦٠٦).

مَعَ اللهِ في أيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ ..إلى غير ذلك من اَلْمَعَانِي اَلْـجَلِيْلَةِ التي قَدْ يَصِلُ إليهَا الذِّهْنُ عِنْدَ التَّفَكُّرِ والتَّأمُّلِ.

٧- اَلتَّقْـدِيْمُ:[1]

وتقديمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ نَلحَظُهُ في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[البقرة:٢٦٧]، فـــ"جملة **﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾**حال، والجار والمجرور معمولان للفعل، قُدِّمَا عليه لِلدَلالَةِ عَلَى الاخْتِصَاص؛ أي: لا تَقْصِدُوا اَلْـخَبِيْثَ في حَالِ ألَّا تُنْفِقُوا إلَّا مِنْهُ، لأنَّ مَـحَلَّ النَّهْيِ أنْ يُـخْرِجَ الرَّجُلُ صَدَقَتَهُ مِنْ خُصُوصِ رَدِيْءِ مَالِـهِ"[2] . ولَقَدْ أفَادَ تقديْمُ مَا حَقُّهُ التَّأخيرُ هُنَا زِيَادَةَ النَّهْيِ عَنْ الإنْفَاقِ مِنْ اَلْـخَبِيْثِ، وَاَلْـحِرْصَ عَلَى اِخْتِيَارِ الطَّيِّبِ لِلصَّدَقَةِ.

٨- اَلْـقصْرُ:

جَاءَ أسْلُوْبُ اَلْقَصْرِ في قوله تعالى:**﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**،بطريقِ ضَمِيْرِ اَلْفَصْلِ (هُمْ). إنَّ هَذِه الجُمْلَةَ هِيَ تَذْيِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[البقرة:٢٥٤].

فقد أمَرَ الله تَعَالى اَلْمُؤْمِنِيْنَ بِالإنْفَاقِ فِي سَبِيْلِهِ قَبْلَ فَوَاتِ الأوَانِ، فَإنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ لا بَيْعٌ فِيْهِ ولَا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَةٌ. فَجَاءَ هَذَا الأمْرُ مُذَيَّلاً بِقَوْلِهِ:**﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**؛لأنَّ ذلكَ الإنْفَاقَ اَلْمَأْمُوْرَ بِهِ سَيُصْرَفُ نَصَيْبٌ مِنْهُ لِقِتَالِ اَلْمُشْرِكين الّذِين بَدَأُوا الدِّيْنَ بِالْمُنَاوَأةِ، فَهُمْ الظَّالِمُونَ لَا اَلْمُؤْمِنُون الّذِين يُقَاتِلُوْنَهُمْ لِـحِمَايَةِ الدِّيْنِ والذَّبِ عَنْ حَوْزَتِهِ[3] .

فـــ"قوله**﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**،صِيْغَةُ قَصْرٍ، نَشَأتْ عَنْ قَوْلِهِ: **﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾**، فَدَلَّتْ عَلَى أنَّ ذَلِكَ النَّفْيَ تَعْرِيضٌ وتَـهديدٌ لِلْمُشْرِكِينَ، فَعَقَّبَ بزِيَادَةِ التَّغْلِيْظِ عليهم، والتَّنديدِ بأنَّ ذَلِكَ التَّهْدِيدَ وَاَلْمُهَدَّدَ بِهِ قَدْ جَلَبُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ بِـمُكَابَرَتِـهِمْ فَمَا ظَلَمَهُمْ اللهُ، وهَذَا أشَدُّ وَقْعًا عَلَى اَلْمُعَاقَبِ؛ لأنَّ اَلْمَظْلُومَ يَـجِدُ لِنَفْسِهِ سِلْوًا بِأنَّهُ مُعْتَدَى عليه، فَالقَصْرُ قَصْرُ قَلْبٍ؛ بِتَنْزِيْلِهِمْ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْتَقِدُ

---

[1] **التَّقديمُ**: قد تتقدَّمُ مُتعلّقاتُ الفعل عليه، وهي (المفعول، والحال، والظرف، والجار والمجرور) لأغراضٍ بلاغيَّةٍ؛كتخصيصها بالفعل، أو زيادة الاهتمام أو التَّبَرُّكِ أو الإنكار، وإلى غير ذلك من الأغراض البلاغية .ينظر: جواهر البلاغة (ص١٦٣).

[2] التحرير والتنوير (٥٧/٣).

[3] ينظر: التحرير والتنوير (١٦/٣).

أَنَّـهُمْ مَظْلُوْمُونَ، ولَكَ أَنْ تَـجْعَلَهُ قَصْرًا حَقِيْقِيًّا اِدِّعَائِيًّا[١]. لأنَّ ظُلْمَهُمْ لَمَّا كَانَ أَشَدَّ الظُّلْمِ جُعِلُوا كَمَنْ اِنْـحَصَرَ الظُّلْمُ فِيْهِ"[٢] .

٩- التَّشْبِيْهَاتُ وَاَلْمَجَازَاتُ:

أَوَّلُ مَا نَـجِدُهُ مِنْ هَذِهِ **التَّشْبِيْهَاتِ** جَاءَ في قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[البقرة:٢٦٤].

نَـجِدُ أَنَّهُ ضَرِبَ مَثَلٌ لِلَّذي يُتْبِعُ نَفَقَتَـهُ بِالْمَنِّ والأذَى بِالْمَرَائِي الَّذِي لا يَبْتَغِي بِنَفَقَتِـهِ وَجْـهَ الله – تعالى – فيكونُ هَذَا العَمَلُ مِنْـهُ سَبَبًا في إِبْطَالِ أَجْرِ نَفَقَتِـهِ، فَكَذَلِكَ يُبْطِلُ أَجْرَ نَفَقَةِ مَنْ يُتْبِعُ صَدَقَتَهُ بِالْمَنِّ والأذَى. فَجَاءَ النَّهْيُ عنَ مِثْلِ هَذِهِ الأَعْمَالِ صَرِيْحاً:"لا تُبطلُوا أُجُورَ صَدَقَاتكم بِالْمَنِّ والأذَى،كَمَا أَبْطَلَ كُفْرُ الذي يُنْفِقُ مَالَه رِئَاءَ النَّاسِ، وهُوَ مُرَاءَاتُهُ إِيَّاهُمْ بِعَمَلِهِ فَيَحْمَدُونه عليه، وهُوَ مُرِيْدٌ به غيرَ اللهِ، وإِنَّـما يُنْفِقُهُ ظَاهِراً لِيَحْمِدَ النَّاسُ عليه ويُثْنُون عَلَى سَخَاءِهِ وكَرَمِهِ، بَيْنَمَا هُوَ لا يُصَدِّقُ بِوَحْدَانِيَّـةِ الله – تعالى – ورُبُوبِيَّتِـهِ، وَلا بِأَنَّـهُ مَبْعُوثٌ بعد مَـمَاتِهِ فَمُجَازَى عَلَى عَمَلِـهِ. وهَذِهِ صِفَاتُ اَلْمُنَافِقِ، لأنَّ الكَافِرَ لَيْسَ بِـحَاجَةٍ للرِّيَاءِ"[٣].

ولا يكتفي القرآن الكريم بهذا المثل بل يزيد الأمر إيضاحاً وتفصيلاً، وذلك بضرب اَلْمَثَلِ لِمَا كان هو مثلاً، وبالطَّبع فإنَّ اَلْمَثَلَ الآخر يسري أيضًا على اَلْمُشَبَّهِ الأول. فقال تعالى:**﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾**، فضُرِبَ اَلْمَثَلُ لِهذَا اَلْمُنَافِقِ اَلمُرائِي بِتُرَابِ على صفوان، إنْ نظر إليه الرَّائِي ظَنَّـهُ أرضًا خِصْبَةً، فيُقْدِمُ على بَذْرِ بُذُوْرِهِ فيها، وحين ينزلُ المطرَ يستبشرُ به، ففيه حياةُ هذه التُّربَـةِ اَلْمَبذورِ فيها البذور، فلن تلبث حين يصيبها اَلْمَطَرُ الغزيرُ مِنْ أن تَـهتزَّ وتتشقَّقَ لِيَخْرُجَ مِنْهَا نَبْتٌ طَالَمَا انتظرَهُ الباذر، لكن تَفاجؤه يكون عظيما ، وحُزْنُه يكون أعظمَ، وحسرتُهُ تكون كبيرةً، حين لا يُـحقِّقُ ذلك الوَابِلَ مَا كان مأمولاً منه، بل إنَّهُ يكونُ سبباً في تكشُّفِ حقيقَةٍ كانت بعيدةً عن حَيِّزِ عِلْمِهِ.. إنَّ ذلك التُّرابَ كانَ طَبَقَةً سَطْحِيَّةً ضَئِيْلَةً على صفوان أملس لا يمسك نبتاً ولا ماءً. فكذلك اَلْمُنافِقُون "يراهُمْ اَلْمُسلمون في الظَّاهِرِ أَنَّ لَـهُمْ أعمالًا

---

[١] **قصر القلب** هو: أن يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته.
والقصر الحقيقي هو: أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألَّا يتعدَّاهُ إلى غيره أصلاً.
والقصر الحقيقي الإدعائي يكون على سبيل المبالغة، بغرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدي به.
ينظر: جواهر البلاغة (ص١٧٠-١٧٢).
[٢] التحرير والتنوير (١٦/٣).
[٣] جامع البيان (٦٥٩/٤).

كمَا يُرى التُّرابُ على هَذَا الصَّفوانِ بِما يُراءونهم به. فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله اِضْمَحَلَّ ذلك كُلُّه؛ لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ لله،كمَا ذَهَبَ الوَابِلُ مِنْ اَلمَطَرِ بِمَا كانَ على الصَّفْوَانِ مِنْ التُّرَابِ فَتَرَكَهُ أَمْلَسَ لا شيء عليه"[١]، فلا يجدُ اَلْمُنَافقون من أعمالهم شيئاً يوم القيامة. وهذا كُلُّه تشبيهٌ تمثيليٌّ.ثُمَّ يزيدُ في إيضاحِ حالِهِمْ في الآخِرَةِ، فَقَالَ:**﴿لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾**؛أي:"لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مِمَّا كسبوا في الدنيا؛ لأنَّهُمْ لم يعملوا لِمَعَادهم، ولا لطلب ما عند الله في الآخرة، ولكنهم عملوه رِئَاءَ النَّاسِ وطلب حمدهم، وإنَّما حَظُّهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها"[٢].كما أنَّ هذا التَّعبيرَ قد "أوقع موقعاً بديعاً من نظم الكلام، تنهالُ به معانٍ كثيرةٌ، فهو بموقعه كان صالحاً لان يكون حالاً مِنْ الذي يُنفقُ ماله رِئَاءَ النَّاسِ، فيكونُ مُندرجًا في الحالةِ اَلمُشَبَّهَةِ"[٣].

وختمت الآية بقوله تعالى:**﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**، وهو تذييلٌ"مَسُوْقٌ لِتَحْذِيرِ اَلمؤمنين من تَسَرُّبِ أحوالِ الكافرين إلى أعمالهم، فإنَّ مِنْ أحوالهم اَلْمَنُّ على مَنْ يُنفِقُون وأذَاهُ"[٤].

ونجد مثلاً آخر مضروباً للمرائي، في قوله تعالى:**﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**[البقرة:٢٦٦].اُستهلَّ هذا اَلمَثلُ بالاستفهام الإنكاري الدَّالِ على عَدَمِ رَغْبَةِ أحدٍ في صَيرورَةِ حَالِهِ إلى مَا صَارَ إليه حَالُ هَذَا الشَّيخِ في هَذَا اَلمَثَلِ. وهَذَا اَلمَثَلُ هُوَ "مَثَلٌ آخَرُ لِنَفَقَةِ الرِّيَاءِ، أنَّهُ يُنفقُ مَالَهُ يُرائِي النَّاسَ به، فيذهَبُ مَالُهُ منه وهُوَ يُرَائِي، فلا يَأجْرُهُ الله فيه، فَإذَا كَانَ يومُ القيامَةِ واحْتَاجَ إلى نَفَقَتِهِ، وَجَدَهَا قَدْ أَحْرَقَهَا الرِّيَاءُ، فَذَهَبَتْ، كَمَا أَنْفَقَ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى جَنَّتِهِ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته، جاءت ريحٌ فيها سمومٌ فأحرقتْ جَنَّتَهُ، فلم يَجِدْ مِنْهَا شيئاً. فكذلك اَلمُنْفِقُ رِيَاءً"[٥].

وهو تشبيهٌ تمثيليٌّ، و"وَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ حُصُولُ خَيْبَةٍ وَيَأْسٍ في وَقْتِ تَمَامِ الرَّجَاءِ وإِشْرَافِ الانْتَاجِ"[٦]. قال صاحب البحر المحيط في التفسير:"هذا مثلٌ قلَّ والله مَنْ يَعْقِلُهُ:شيخٌ كبيرٌ، ضَعُفَ جِسْمُهُ وَكَثُرَ صِبْيَانُهُ، أَفْقَرُ مَا كانَ إلى جَنَّتِهِ،

---

[١] المصدر السابق (٦٦٢/٤).
[٢] جامع البيان (٦٦٢/٤).
[٣] التحرير والتنوير (٤٩/٣).
[٤] المصدر السابق نفسه (٥٠/٣).
[٥] جامع البيان (٦٨١/٤).
[٦] التحرير والتنوير (٥٣/٣).

وإنَّ أحَدَكُمْ والله أفقَرُ مَا يكونُ إلى عَمَلِهِ إذَا اِنْقَطَعَتْ عَنْه الدُّنْيَا"[1]. ويبدُو في هَذِه الآيَةِ أُسْلُوبُ التَّتميمِ[2] ظَاهِرًا، فقد أُطنبَ في وصْفِ الجَنَّةِ بالتَّفصيل، حتَّى يتمَكَّنَ اَلْمُتلقِّي مِنْ تصوُّرِهَا جُزْءًا جُزْءًا..فيرى نُمُوَّهَا، وازدهارَهَا، واحْتِوَاءَهَا على النَّافعِ مِنْ الشَّجَرِ والثِّمَارِ. ثُمَّ حين يسمعُ بإصَابَةِ الإعْصَارِ الذي فيه نارٌ لَهَا وتدميرُهُ إيَّاها وإحراقُهُ لَهَا يشعرُ بِمَدَى حَسْرَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي وُصِفَ بأنَّهُ أصَابَه الكِبَرُ؛أي: أنذَهُ صَارَ ضَعِيْفًا غيرَ قَادِرٍ على إعَادَةِ إعْمَارِهَا، وأُضِيْفَ إلى ذَلِكَ أنَهُ لا مُعِيْنَ لَهُ حين ذَكَرَ أنَّ ذريته ضُعَفَاءَ.

فلم يُقتصر على ذكر الجنة، بل زيدتْ تفاصيلُ عنها، فذكر أنَّها تَحوي النَّخِيْلَ والأعْنَابَ، ثُمَّ زَادَ على ذلك أنَّ

فيها من كُلِّ الثَّمَراتِ، وإنَّمَا خُصَّ ذِكْرُ النَّخِيْلِ والأعْنَابِ "لَمَّا كانَا أكْرَمَ الشَّجَرِ وأكثرَهَا مَنَافِعَ خَصَّهُمَا بالذِّكْرِ، وجَعَلَ الجَنَّةَ مِنْهُمَا، وإنْ كانتْ مُحتويَةً على سَائِرِ الأشْجَارِ؛ تَغْلِيْبًا لهما على غيرهما"[3]. وذكر من أوصافها كذلك أنَّ الأنهار تجري من تحتها؛ للدَّلالَةِ عَلَى دَوَامِ خِصْبِهَا ونُضْرَتِهَا.

وهذا هو مقصدُ ضَرْبِ هَذَا اَلْمَثَل.. إنَّ هَذَا اَلْمَثَلَ يُرَادُ مِنْهُ الشُّعُورُ بِشِدَّةِ الأسَى والألَمِ والحُزْنِ والحَسْرَةِ التي أصَابَتْ ذلك الشَّيْخَ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْهُ وَفَاتَ آوَانُ اَلْقُدْرَةِ على إمكانية تَلافِي أضْرَارِ ذلك اَلْمُصَابِ العَظِيمِ بالعَمَلِ مَرَّةً أُخْرَى، وذلك أنَّ هذه اَلْمَشَاعِرَ كُلَّهَا وأعَظْمَ مِنْهَا يَجِبُ أنْ يعلمَ اَلْمُؤْمِنَ أنَّها سَتُصِيْبُ اَلْمُنْفِقَ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ يومَ اِلْقِيَامَةِ حِيْنَ لَا يَنْفَعُ النَدَمُ.

أمَّا قوله:**﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾** فقد اخْتُلف في تأويله .فمن العلماء مَنْ يُؤوِّلُ الإعْصَارَ الَّذِي فيه نارٌ بأنَّ الإعْصَارَ هُوَ الرِّيْحُ الشَّديدةُ، والنَّارُ هِيَ السُّمُومُ اَلْمُحْرِقَةُ – وهَذَا الرَّأيُ قَدْ ذُكِرَ سَابِقًا عِنْدَ بِدَايَةِ تَحْلِيْلِ الآيَةِ. ومنهم مَنْ يُؤَوِّلُ هَذَا الإعْصَارَ الذي فيه نارٌ بأنَّهُ الرِّيْحُ التي فيها صِرٌّ وبَرْدٌ شديدٌ.[4] فهَذِه التَّأويَلاتُ مَا استطاعَ العُلَمَاءُ الأقدمون تَصَوُّرَهُ في مَعْنَى هَذِه الظَّاهِرَةِ الطَّبِيْعِيَّةِ.

لكن علماء هذا العصر رأوا هذه الظاهرة رأي العين وتمكَّنُوا مِنْ تصويرها تصويراً دقيقاً على الأرض وبالأقمار الصناعية. لقد شُوهدت هذه الظاهرة لأول

---

[1] البحر المحيط في التفسير (٦٧١/٢).

[2] **التَّتميم** هو "أن تُوفي المعنى حقَّه من الجودة وتُعطيه نصيبه من الصِّحَّةِ، ثُمَّ لا تُغادرُ معناً يكون فيه تمامه إلا تورده أو لفظاً يكون فيه توكيد إلا تذكره". الصناعتين ، الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، علَّق على حواشيه وضبط نصَّهُ: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م ، (ص٣٠٥)..

[3] الكشاف (٣١٤/١).

[4] ينظر جامع البيان(٦٨١/٤ – ٦٩٣).

مرة عام ٢٠٠٣م لكن العلماء لم يكترثوا لها إلا أنَّ هذه الظاهرة تكرَّرت عام ٢٠١٠م، حيثُ ضرب مَثَلُ هَذا الإعصارِ البرازيلَ، ورغم هذا لم تجدْ هذه الظاهرة اهتماماً، حتى عام ٢٠١٣م عندما ضرب مثله مناطق باستراليا، الأمرُ الذي جعل العلماء يبدؤن الاهتمام به، ويصنفونه كظاهرة طبيعية، بل ومن أغرب الظواهر الكونية على الأرض وأكثرها تدميراً. وَسَمُّوه (إعْصَارَ النَّارِ)، لكنَّ تعبيرَ القُرْآنِ الكريمِ أدَقُّ من تعبيرهم، حيثُ وصفه بأنه (إعصار فيه نار)، فهو عبارةٌ عن دَوَّامَةٍ من الرِّيْحِ العَاتِيَةِ في قَلْبِهَا نَارٌ، هذه النار نشأت من احتراق الأشجار، فأصبحت في قلب الإعصار تدور معه وتحرقُ كُلَّ شيءٍ تَمُرُ عليه، لذا فهو الإعصارُ الأشَدُّ تدميرًا من بين أنواع الأعَاصِيرِ.[١]

وَنَجِدُ دَلِيْلَ ذَلِكَ قَولَه **﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾**، فلو كان ما أصابَها هُوَ اليَبَسُ جَرَّاءَ السَّمُومِ أو الصَّرِّ، لكان هناك أملٌ في عَوْدَةِ الحيَاةِ إليها، خَاصَّةً أنَّ الأنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها، فيكون ما أصابها هو عرضٌ يَزولُ مع مُرُورِ الزَّمَنِ. لكن مجيء التعبير بـ (احترقت) يُرجِّحُ الحقيقة (الاحتراقَ) لا اَلْمَجَازَ (اليبس)، فَهُوَ الأبلَغُ في حُصُولِ النَّدَمِ واَلْحَسْرَةِ وإصَابَةِ الحُزْنِ والألَمِ صَاحِبَ الجَنَّةِ، فاحتراقها هو احتراقٌ حقيقيٌّ لا مجال فيه للحَيَاة بَعْدُ.

أمَّا اَلْمَجَازُ فَنَجِدُهُ فِي قولِه تعالى:﴿ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إلاَّ أن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ ،وهو واردٌ في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[البقرة:٢٦٧].

فالإغماضُ إطباقُ الجِفْنِ، ويُطلقُ مَجازاً عَلى لازِمِ ذلك، فيُطْلَقُ تَارَةً عَلى اَلْهَنَاءِ والاستراحَةِ، لأنَّ مِنْ لَوَازِمِ الإغْمَاضِ راحة النَّائِمِ. ويُطْلَقُ تَارَةً عَلى لازِمَةٍ مِنْ عَدَمِ الرُّؤْيَةِ، فَيَدُلُّ على التَّسَامُحِ في الأمْرِ اَلْمَكروهِ. فَإذَا أرَادُوا اَلْمُبَالَغَة في التَّغَافُلِ عَنْ اَلْمَكْرُوْهِ الشَّدِيْدِ؛ قالوا: أغْمَضَ عَيْنَهُ عَلى قَذًى، وذلك لأنَّ إغْمَاضَ الجِفْنِ مَعَ وُجُودِ القَذَى في العَيْنِ لِقَصْدِ الرَّاحَةِ مِنْ تَحَرُّكِ القَذَى[٢]، و"أغْمَضَ فُلَانٌ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ، إذَا غَضَّ بَصَرَهُ"[٣].

فَمَنْ يَقْبَلُ أخْذَ الرَّدِيءَ والخَبِيْثَ لا يَأْخُذُهُ إلَّا وهُوَ مُتَغَافِلٌ عَنْ رَدَائَتِهِ وَخَبَثِهِ، وذلك لأنَّهُ في أمَسِّ الحَاجَةِ إليه، فلَيْسَ لَدَيْهِ خِيَارٌ أخَرُ إلَّا قُبُولُه لِيَسُدَّ بِهِ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ مَنْ يَعُوْلُ؛ لِذَا يَنْبَغِي عَلى اَلْمُنْفِقِ عَدَمُ الإنْفَاقِ مِمَّا لو أُعْطِيَ لَهُ وَقَدَّمَ إلَيْهِ

---

[١] موقع الكحيل للإعجاز العلمي – حقائق جديدة في إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة .
[٢] ينظر: التحرير والتنوير (٥٨/٣).
[٣] الكشاف (٣٦٥/١).

لَـمْ يقبلْهُ، فَكَذَلِكَ اَلْمُنفَقُ عليه مِنْ اَلْمُحتاجين لَهُ كَرَامَةٌ أَيْضًا، وعَلَـى أَخِيْـهِ اَلْمُنْفِق أَنْ يَـحْفَظَ لَهُ هَذِهِ الكَرَامَةَ فَلا يُعْطِيْهِ مَا لَا يَقْبَلُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

١٠- اَلْمُقَـابَلَــةُ:

نَـجِدُ اَلْمُقَابَلَةَ بَيْنَ قوله تعالى:**﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَـا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾**،وقوله تعالى: **﴿وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾**.وهَاتَان اَلـجُمْلَتَان قَدْ جَاءَتَا في آيَةٍ واحِدَةٍ، في قوله تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْـهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[البقرة:٢٦٧].

فَالْمُقَابَلَةُ وَقَعَتْ بينَ الأَمْرِ بِالإِنْفَاقِ مِنْ الطَّيِّبَاتِ؛ سَوَاءً مِـمَّا يَكْسَبُهُ اَلْمَرْءُ أو مِمَّا يُـخْرِجُهُ الله لَهُ مِنْ الأَرْضِ، والنَّهْيُ عَنْ اخْتِيَارِ مَا خَبُثَ مِنْـهُ لِإِخْرَاجِه فـي النَّفَقَاتِ. والعِلَّةُ البَيِّنَةُ الظَّاهِرَةُ لِـهَذَا هِيَ مُرَاعَاةُ كَرَامَةِ اَلْمُحْتَاجِ وَالـحِرْصُ عَلَـى عَدَمِ اَلإِسَاءَةِ إِلَيْهِ بِإِعْطَائِهِ مِنْ الرَّدِيْءِ والـخَبِيْثِ..كَمَا قَدْ لَاحَظْنَا فـي آيَاتٍ سَابِقَةٍ كَيْفَ كَانَ اَلـحِرْصُ شَدِيْدًا عَلَى عَدَمِ إِيْذَاءِ اَلْمُتَصَدِّقِ عَلَيْهِ بِالْمَنِّ أو الأَذَى، وجُعِلَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ كَالْمُرَائِي تَـمَامًا، هَذَا يُـحْبِطُ الرِّيَاءُ أَجْرَ نَفَقَتِهِ، وَذَلِكَ يُـحْبِطُ اَلْمَنُّ أو الأَذَى أَجْرَ نَفَقَتِهِ كَذَلِكَ. وَقَدْ اِتَّضَحَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالى:**﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾**، فكان يُرادُ مِنْ هَذَا اَلقَوْلِ أَنْ يَضَعَ اَلْمَرْءُ نَفْسَـهُ مَكَانَ هَذَا اَلفَقِيْرِ والْمُحْتَاجِ، وأَنَّـهُ لَـا يَأْخُذُهُ حِيْنَ يَأْخُذُهُ إِلَـا لِأَنَّـهُ فـي أَمَسِّ الحَاجَـةِ إليـه، ولَوْلَا هَذَا مَا قَبِلَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ رَدِيءٌ خبيثٌ تَأْنَفُ النَّفْسُ مِنْهُ.

ثُـمَّ تُـخْتَمُ الآيَـةُ بِـخِتَامٍ فيـه تَعْنِيفٌ لِمَنْ يَفْعَلُ ذلـك **﴿وَاعْلَمُـواْ أَنَّ اللَّـهَ غَنِـيٌّ حَمِيدٌ﴾**، فهي تذكيرٌ بأنَّ اللهَ غِنَـيٌّ عَنْ مِثْلِ تِلْكَ النَّفَقَاتِ وَعَنْ غَيْرِهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ يَعُودُ نَفْعُهَا بالدَّرَجَةِ الأولـى لِصَاحِبِهَا. وَهُوَ حَـمِيْدٌ يَـحْمِدُ عِبَادَهِ عَلَـى نَفَقَاتِـهِمْ الطيبة الخالصة لوجهه الكريم، ويجبُ أَنْ يَـحْمَدَهُ عِبَادُه عَلَى مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِم مِنْ الـنِّعَمِ وَمَـا مَنَحَهُمْ مِنْ الـرِّزْقِ، وَمِنْ اَلـحَمْدِ لَـهُ الإِنْفَـاقُ عَلَـى عِبَـادِهِ اَلْمُحْتَاجِين مِنْ الطَّيِّبِ لَا مِنْ اَلـخَبِيْثِ.

اَلْخَــاتِمَــةُ وَأَهَمُّ اَلنَّتَائِجِ:

بَعْدَ اَلسِّيَاحَةِ اَلإِيْمَانِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ فِي اَلآيَاتِ، والْوُقُوفِ عَلَى اَلأَسْرَارِ البَيَانِيَّةِ، وَالأَسَالِيْبِ البَلَاغِيَّةِ اَلْمُتَنَوِّعَةِ، يُمْكِنُ اَلْقَوْلُ بِأَنَّ ثَمَّةَ نَتَائِجَ استطاعَ البَحْثُ الوُصُوْلَ إِلَيْهَا، نُعَدِّدُهَا فِي النِّقَاطِ الآتِيَةِ:

١-اِنْقَسَمَتْ الآيَاتُ – مَحَطُّ الدِّرَاسَةِ – إِلى قِسْمَيْنِ،آيَاتٍ اِتَّخَذَتْ مِنْ الحَثِّ والتَّرغيبِ سبيلاً، وآياتٍ اِتَّخَذَتْ مِنْ التَّحْذِيرِ والتَّخْوِيْفِ سَبِيْلاً.وتَبَيَّنَ أَنَّ آيَاتِ النَّوْعِ الأَوَّلِ هِيَ أَكْثَرُ عَدَدًا.وهَذَا يُشِيْرُ إِلى أَنَّهُ قَدْ فُضِّلَ الأُسْلُوبُ الأَوَّلُ لِحَثِّ اَلمُسْلِمِيْنَ عَلَى التَّصَدُّقِ والإِنْفَاقِ في سَبِيلِ الله، حَتَّى يُخْرِجَ اَلمُسْلِمُ مَالَه مُحِبًّا لِمَا يَقُوْمُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ رَاضِيَةً عِنْهُ نَفْسُهُ طَيِّبَةً بِهِ.

٢-اِخْتَلَفَتْ الآيَاتُ في أَغْرَاضِهَا – كَمَا أَوْضَحْنَا مِنْ قَبْلِ – مَا بَيْنَ حَثٍّ وتَرْغِيْبٍ، وتَحْذِيْرٍ وتَخْوِيْفٍ. لَكِن يَتَوَحَّدُ اَلهَدَفُ في الآيَةِ اَلوَاحِدَةِ، فَنَجِدُهَا تَحْمِلُ غَرَضًا وَاحِدًا.

٣-تَنَوَّعَتْ اَلأَسَالِيْبُ البَلَاغِيَّةُ في الآيَاتِ، فَكَانَتْ كَالرَّوَافِدِ التي تَأْتِي مِنْ هُنَا وَهُنَاك، حتَّى تَصُبَّ في مَجْرَى وَاحِدٍ، فَيَتَحَقَّقُ بِهِمْ الغَرَضُ الأَصِيْلُ الَّذِي مَا اِسْتُعْمِلَتْ تلك الأساليبُ إلا لِتَحْقِيْقِهِ.

ولَا نَجِدُ هَذَا عَلَى مُسْتَوَى اَلآيَاتِ بِشَكْلِهَا اَلمُتَكَامِلِ في اِتِّسَاقِهَا مَعَ بَعْضِهَا اَلبَعْضِ فَحَسْبِ، بَلْ نَجِدُهُ أَيْضًا في الآيَةِ الوَاحِدَةِ. فَتَأْتِي الأَسَالِيْبُ اَلمُتَنَوِّعَةُ مُتَعَانِقَةً مُتَنَاسِقَةً. فَنَرَى في الآيَةِ الوَاحِدَةِ الخبرَ والإِنْشَاءَ والتَّقْديمَ والتَّأخيرَ والذِّكْرَ والحَذْفَ والقَصْرَ والاسْتِثْنَاءَ..الخ ،حتَّى يَحَارُ البَاحِثُ في تَصْنِيْفِهَا ضِمْنَ أَيِّ فَنٍّ مِنْ الفُنُوْنِ أَوْ أُسْلُوْبٍ مِنْ الأَسَالِيْبِ هِيَ. ومَعَ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ جميعَ تِلْكَ الأَسَالِيْبِ تَتَّحِدُ في هَدَفٍ وَاحِدٍ، تَعْمَلُ الآيَةُ عَلَى تَحْقِيْقِهِ، وَهُوَ إِمَّا اَلحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ والتَّرْغِيْبُ فِيْهَا، أَوْ التَّحْذِيْرُ مِنْ البُخْلِ والتَّقتيرِ والتَّنفيرُ مِنْ إِبْطَالِ الأَجْرِ اَلحَاصِلِ مِنْ النَّفَقَةِ. فَتَكُوْنُ الآيَةُ مِنْ بِدَايَتِهَا إِلى نِهَايَتِهَا لَهَا هَدَفٌ وَاحِدٌ أَصِيْلٌ، بِيْنَمَا تَتَنَوَّعُ أَسَالِيْبُ عَرْضِهِ. وَكَذَلِكَ هُوَ حَالُ الآيَاتِ مَعَ بَعْضِهَا اَلبَعْضِ، فَتَنَوُّعُ الأَسَالِيْبِ فِيْهَا يَجْعَلُنَا نَتَنَقَّلُ مِنْ فَنٍّ إِلى فَنٍّ، ومِنْ جَمَالٍ إِلى جَمَالٍ، فَنَتَذَوَّقُ أَبْرَعَ التَّعَابيرِ وأَبْدَعَ التَّراكِيْبِ.

٤- تِكْرَارُ اِسْتِعْمَالِ بَعْضِ الأَسَالِيبِ، مِنْ ذَلِكَ:

أ- التَّشْبِيْهُ: لَقَدْ أَفَادَ استعمالُ التَّشْبيهَاتِ تَقْرِيبَ اَلمَعَانِي، وَمُحَاكَاةَ اَلمَعْقُوْلِ بِالمَحْسُوسِ، لِيَكُوْنَ أَكْثَرَ قُرْباً مِنْ ذِهْنِ اَلمُتَلَقِّي، وأَعْظَمَ تَأْثِيْرًا في نَفْسِيَّتِهِ. وَذَلِكَ حِيْنَ تَرْسُمُ مِنْ خِلَالِ التَّشبيهِ كُلَّ التَّفَاصيلِ الحِسِّيَّةِ؛كَالرُّؤْيَةِ والسَّمْعِ، وَتَصِلُ تِلْكَ التَّفَاصِيْلِ إِلى الوُجْدَانِ وَالمَشَاعِرِ، فَيَعِيْشُ اَلمُتَلَقِّي كُلَّ دَقَائِقِهَا، فَيَتَأَلَّمُ وَيَحْزَنُ

وَيَنْدَمُ وَيَتَحَسَّرُ وَيَسْعَدُ وَيَفْرَحُ إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَشَاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ الْحَيَّةِ التي تَتَحَرَّكُ في الأعْمَاقِ. فَيَكُوْنُ الإِحْسَاسُ بِهَا إِحْسَاسًا حَقِيْقِيًّا، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ دِقَةِ ذَلِكَ التَّصْوِيْرِ الَّذِي يَسْتَخْدِمُ الوَسِيْلَةَ الصَّحِيْحَةَ في الْمَوْضِعِ الصَّحِيْحِ، لِيَصِلَ بِالْمُتَلَقِّي إلى أعْلَى دَرَجَاتِ الإِدْرَاكِ وَالْحِسِّ.

وَلَقَدْ اُخْتِيْرَ أَبْلَغُ أَنْوَاعِ التَّشْبِيْهِ، إِنَّهُ التَّشْبِيْهُ التَّمْثِيلِيُّ.إِنَّ التَّشبيهَ التَّمثيلِيَّ يَتَفَوَّقُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ. فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى تَمْثِيْلِ صُوْرَةٍ ذَاتِ عَنَاصِرَ مُخْتَلِفَةٍ بِصُوْرَةٍ ذَاتِ عَنَاصِرَ مُخْتَلِفَةٍ، فَيَأتي وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا صُوْرَةً مُنْتَزَعَةً مِنْ عَنَاصِرَ مُتَعَدِّدَةً، وَهَذِهِ الْعَنَاصِرُ مُرْتَبِطٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَمَبْنِيٌّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، بِحَيْثُ لَوْ أُسْقِطَ وَاحِدٌ مِنْهَا اِخْتَلَّ الْمَعْنَى وَانْهَدَمَ الْبِنَاءُ. فَجَمَالُ هَذَا النَّوْعِ مِنْ التَّشْبِيْهِ وَسِرُّ الإِبْدَاعِ فِيْهِ هُوَ تِلْكَ الصُّوْرَةُ الْمُرَكَّبَةُ الَّتي تَحْتَاجُ إلى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَشَحْذِ الذِّهْنِ لِتَصَوُّرِهَا وَالوُصُولِ إِلَيْهَا، وهذا ما يؤدي إلى تمكن المعنى في النفس،فيكون أكثر تأثيراً وأعظم إبلاغا.

إِنَّ أَوَّلَ تَشْبِيْهٍ وَرَدَ كَانَ غَرَضُهُ تَقْرِيْبَ كَمِيَّةِ الأَجْرِ التي يَمْنَحُهَا تَعَالى لِلْمُتَصَدِّقِ، فَشَبَّهَ النَّفَقَةَ القَلِيْلَةَ مِنْ الْمُؤْمِنِ بِالبِذْرَةِ الْوَاحِدَةِ التي تُبْذَرُ في الأَرْضِ، فَإِذَا بِهَا تَنْشَقُ فَتُخْرُجُ إلى سَطْحِ الأَرْضِ وتَنْمُو، وَمَا تَلْبَثُ أَنْ تُسَنْبِلَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ البُذُوْرِ .. فَكَذَلِكَ الأَجْرُ الَّذِي يَجْزِلُهُ تَبَارَكَ وتَعَالى لِلْمُنْفِقِ عَلَى تِلْكَ النَّفَقَةِ القَلِيْلَةِ مِنْهُ.

ثُمَّ يتَّضحُ من الآيات التي تتلو هذه الآية أن ذلك الأجر يمنح لِمَنْ لا يتبعُ صدقَتَهُ بالْمَنِّ والأذى..ولأنَّهُ أوضحَ كَمِيَّةَ أَجْرِ الْمُنْفِقِ بِمَثَلٍ ضَرَبَهُ لِيُقَرِّبَ الْمَعْنى لِلذِّهْنِ، كذلك ضَرَبَ مَثَلًا لِمَنْ يُبْطِلُ أَجْرَ صَدَقَتِهِ بِالْمَنِّ والأذى، فَشَبَّهَهُ بِالْمُرَائِي، ولِيُزِيْدَ الإيضاحَ ضَرَبَ الْمَثَلَ لِمَا كَانَ هُوَ مَثَلًا، فَشَبَّهَ حَالَ الْمُرَائِي بِحَالِ مَنْ يَبْذِرُ بُذُوْرَهُ عَلَى صَفْوَانٍ يَأْحْسَبُهُ أَرْضًا طَيِّبَةً حتى إِذَا نَزَلَ عليها الْمَطَرُ واِسْتَبْشَرَ، إِذْ بِهِ يَكْتشفُ الْحَقِيْقَةَ التي كَانَتْ غَائِبَةً عَنْهُ، فَيَتَحَسَّرُ وَيَحْزَنُ وَيَتَأَلَّمُ. ثُمَّ يُقَابِلُ هَذَا الْمَثَلَ بِمَثَلٍ يُبَيِّنُ فِيْهِ حَالَ مَنْ كَانَ عَلَى نَقِيْضِ حَالِ الْمُرَائِي والْمُتْبِعِ نَفَقَتِهِ بِالْمَنِّ والأذى، وَمَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ الأَجْرِ الْعَظِيْمِ والْخَيْرِ الْجَزِيلِ الذي يَجِدُهُ في الآخِرَةِ .. وَرَغْمَ أَنَّهُ قَدْ تَمَّ ضَرَبُ الْمَثَلِ لِلْخَاسِرِ والْمُحْبَطِ أَجْرَهُ إِلَّا أَنَّهُ ضَرَبَ مَثَلًا جَدِيْدًا لِيَزِيْدَ في بَيَانِ حَجْمِ الألَمِ والحُزْنِ والنَّدَمِ الَّذِي سَيُصِيْبُهُمْ يومَ القِيَامَةِ.

وَهُنَا يُلاحَظُ أَمْرَانِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الأَمْثَالَ الْمَضْرُوْبَةَ جَاءَتْ في مَثَلَين لِتُبَيِّنَ حَالَ أَهْلَ الْخير في آيتين، وثَلاثَةِ أمثالٍ تُبَيِّنُ حَالَ أَهْلِ الشَّرِّ في آيتين أيضًا.. والأمثالُ جَاءَتْ مُتَعَاقِبَةً: الخيرُ ثُمَّ الشَّرُّ ثُمَّ الخَيْرُ ثُمَّ الشَّرُّ. فَشَبَّهَ أَجْرَ النَّفَقَةِ الطَّيِّبَةِ مَرَّةً بِالسَّنَابِلِ

وَمَا فِيْهَا مِنْ بُدُوْرٍ ذَاتِ أَعْدَادٍ كبيرة، وَمَرَّةً بِالجَنَّةِ التي تُثمِرُ ثِمَارًا طَيِّبَةً، بَلْ تُؤْتِي أَحْيَانًا الضِّعْفَ مِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ.. وَهَذَا لِزِيَادَةِ بِشَارَةِ الْمُتَّقِي الَّذِي يَبْتَغِي بِنَفَقَتِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالى وَلَا يُتْبِعُهَا بِالْمَنِّ وَالأَذَى.

وأغلظ في تَشْبِيهِ حَالِ مَنْ يُتْبِعُ نَفَقَتَهُ بِالْمَنِّ والأذى، فَشَبَّهَهُ بِالْمُرَائِي الَّذِي لا يَحْصُلُ عَلَى أيِّ أَجْرٍ عَلَى عَمَلِهِ، بَلْ عَمَلُهُ مُحْبَطٌ، وَزَادَ في التَّغْلِيْظِ فَشَبَّهَ حَالَ الْمُرَائِي بِحَالِ مَنْ يَبْذُرُ عَلَى صَفْوَانَ ثُمَّ تكونُ عاقبتُهُ الْحَسْرَةُ والحُزْنُ والألَمُ والنَّدَمُ.. ثُمَّ نَجِدُ أَنَّهُ أَيْضًا شَبَّهَ حَالَ الْمُرَائِي وَالْمُتْبِع نَفَقَتَهُ بِالْمَنِّ والأذى بِحَالِ ذَلِكَ الشَّيْخِ الذِي كَانَ في بِدَايَةِ الأَمْرِ سعيدًا بجنته يشعر أنه بوجودها لم تعدِ لديه أَيَّةُ مَشَاكِلَ في الحياةِ، لكنَّ الإِعْصَارَ الذي فيه نارٌ يَحْرِقُهَا فيذهبُ بَهَا.. فلك أنْ تتخيَّلَ حَجْمَ مُصَابِهِ.. ومِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أنَّ تكثيفَ ذِكْرِ هَذِهِ التَّشْبِيْهَاتِ فِيْهِ حِرْصٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ أيَّ عَمَلٍ يَرُدُّهُ إلى الْحَسْرَةِ والنَدَمِ حِيْنَ يَجِدُ أَنَّ عَمَلَهُ قَدْ أُحْبِطَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى أيِّ أَجْرٍ كَانَ يَأْمَلُهُ، فَهَذِهِ الأمثالُ كُلُّهَا رَحْمَةٌ مِنْ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالى - بعبادِهِ، فَلَمْ يقتَصِرْ عَلَى التَّحْذِيْرِ مِنْ الشَّرِّ، بَلْ ويَضْرِبُ لَهُ الْمَثَلَ تِلْوَ الْمَثَلِ لِكَي يَتَرَسَّخَ كُلَّ مَعنى في الذِّهْنِ وَيَعِيَهُ القَلْبُ، فيكون الْمُؤمنُ أكثرَ بُعْدًا عَنْ الشَّرِّ بَلْ حتى كُلِّ مَا يُقَرِّبُ مِنْهُ.

الثَّانِي: اِتَّضَحَ سَابِقًا أنَّ التَّشْبِيهاتِ خَمْسَةٌ، أَرْبَعَةٌ مِنْهَا جَاءَ الْمُشَبَّهُ بِهِ فَيْهَا عَنَاصرَ من الطَّبيعَةِ.. النَّبَاتُ، الأرضُ، الصَّفوانُ، التُّرابُ، الْمَطَرُ، الإِعْصَارُ.. والتَّشْبِيْهُ الخَامِسُ هو تَشْبِيهُ مَنْ يُتْبِعُ صدَقَتَهُ بِالْمَنِّ والأذى بِالْمُرَائِي الَّذِي لايَبْتَغِي بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالى، لكنَّ حتى هَذَا التَّشبيهِ يَعْقِبُهُ بِتَشْبِيْهٍ آخَرَ مِنْ الطَّبيعَةِ؛ لِيَزِيْدَ في إِيْضَاحِهِ وَبَيَانِهِ.

وَقَدْ يكونُ السَّبَبُ في اخْتِيَارِ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ وَالْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ تَفَاعُلِهَا مَعَ بَعْضِهَا هُوَ بُرُوْزُ الدَّلَالاتِ الْمُرَادِ إِيْصَالُهَا إلى الْمُتَلَقِّي فِيْهَا، وَقُرْبُها مِنْ ذِهْنِهِ.. فَتَكَاثُرُ الشَّيْءِ الوَاحِدِ بِأَعْدَادٍ كبيرةٍ تَصِلُ إلى الْمِئَاتِ هُوَ بَارِزٌ وَظَاهِرٌ في الحُبُوبِ التي تُسَنْبِلُ، رَغْمَ أنَّ هَذَا مَوْجُوْدٌ أَيْضًا في عَالَمِ الْمَجْهَرِيَّاتِ وَالْحشَرَاتِ والكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةِ.. لكنْ اُخْتِيْرَتْ الحُبُوبُ لِكَوْنِهَا مُشَاهَدَةً ومعلومَةً من قِبَلِ الْمُتلقِّي، إضَافَةً إلى جَمَالِهَا وَارْتِيَاحِ النَفْسِ عِنْدَ النَّظَرِ إليها أو السَّمَاعِ عَنْهَا، وَمَا يَعْقِبُ ذَلِكَ التَّكَاثُرِ مِنْ خَيْرٍ للإِنْسَانِ، فَهُوَ طَعَامُهُ الذي يتقوَّى بِه بَلْ وحتى يَتَلَذَّذُ بِهِ، على عَكْسِ الكَائِنَاتِ الأُخْرَى التي قد يكون في تكاثرها ضرر على الإنسان، وهي أيضًا بعيدةٌ عن حيِّزِ تَصَوُّرِهِ وَمَخْيِلَتِهِ.

وَالْجَنَّةُ التي بِرَبْوَةٍ يُصِيْبُهَا الوَابِلُ أو الطَّلُّ فَتُؤْتِي ثِمَارَهَا، فَهُوَ الْمُشَبَّهُ بِهِ الأَقْدَرُ عَلَى إِيْصَالِ مَعَانِي الْخَيْرِ والبَرَكَةِ والسَّعَادَةِ والسُّرُوْرِ إلى الْمُتَلَقِّي، كي يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ السَّبِيْلَ الصَّحِيْحَةَ فَيَسْلُكَهَا دُوْنَ تَرَدُّدٍ.

وكذلك الصَّفْوَانُ الذي عليه تُرَابٌ أو الجنَّةُ الغَنِيَّة بِكُلِّ مَا يُبْهِجُ، ثُمَّ اِحْتِرَاقُهَا أَوْ نُزُوْلُ اَلْمَطَرِ الغَزِيْرِ عَلَى الصَّفْوَانِ وإزالة ما عليه من ترابٍ، هي أمورٌ تُبْرِزُ فيها معاني شِدَّةِ الألم والحُزْنِ والحَسْرَةِ والنَّدَمِ، بِعَكْسِ أَيِّ مَوْقِفٍ آخَرَ قَدْ يَتَعَرَّضُ لَهُ الإِنْسَانُ في حَيَاتِهِ، فَخَيْبَةُ الأَمَلِ تَكُوْنُ عَظِيْمَةً عِنْدَمَا لَايَتَحَقَّقُ اَلْمَأْمُوْلُ رَغْمَ اَلْعَنَاءِ والبَذْلِ الكثيرِ والعَمَلِ الجَادِّ مِنْ أَجْلِ تَـحْصِيْلِهِ، لكنَّ النِّهَايَة تكونُ عَلَى عَكْسِ اَلْمُتَوَقَّعِ واَلْمَأْمُوْلِ.

إذن فاختيارُ عَنَاصِرِ الطَّبِيْعَةِ لِتَقُوْمَ بِدَوْرِ اَلْمُشَبَّهِ به هو الاختيارُ الأكثرُ دِقَّةً، لكونِهِ ملموسًا لَدَى اَلْمُتلقِّي قريبًا من إدراكه سريعًا في حُصُولِ اَلْمُرادِ وإيصالِ اَلْمَعَاني.

ومن هنا تَتَّضِحُ أهميَّةُ أُسْلُوبِ التَّشبيهِ وأسبابَ تكرارِ استعماله.. إنَّ له أثرًا عظيمًا في إيصالِ اَلْمَعَاني إلى اَلْمُتلقِّي وتقريبها من ذِهْنِه وتَرْسِيخِها في قَلْبِه، ومَا يَتْبعُ ذَلِكَ مِنْ تَأَثُّرِهِ ثُمَّ استجابَتِهِ وامْتِثَالِه لِشَرْعِ اللهِ القويمِ.

ب-التَّذييلُ: كثرت الجمل التي جاءت تذييلاً للآيات.كون التذييل مؤكّداً لمعنى الآيةِ، ومُتَنَاسِبًا معها تَنَاسُبًا تَامًّا، فَتُمَهِّدُ الآيَةُ لَهُ؛ وَهُوَ يُؤَكِّدُهَا، بَلْ قَدْ يَزِيْدُ عَنْ ذَلِكَ حينَ يكونُ أكثرَ شُمُولاً وعُمُومًا، فَيَصِلُ إلى دَرَجَةِ الأَمْثَالِ السَّائِرَةِ التي تَدُوْرُ عَلَى الأَفْوَاهِ، وَتَـجْرِي بِهَا الأَلْسُنُ. وَهَذَا أَكْثَرُ مَا نَـجِدُهُ في الجُمَلِ اَلْمَخْتُوْمَةِ بِأَسْمَاءِ الله – تعالى- الحسنى، لِمَا تتميَّزُ به هذه الأسماءُ مِنَ الشُّمُولِ لِمَعَاني عظيمةٍ وصفَاتٍ جليلةٍ، مِمَّا يجعلُ المعنى معها يزيدُ ويتَّسِعُ.

فجملةُ التَّذييلِ تُوْجِزُ مَا في الآيَةِ مِنْ مَعَانٍ وتَـختصِرُهَا في كَلِمَاتٍ قليلةٍ وافيَةٍ بِالْمَعْنَى تَمامَ الوَفَاءِ..ووجُودها بكثرَةٍ من أَدِلَّةِ الإِعْجَازِ البَلاغِي في هَذَا القُرآنِ العَظيمِ. وَمِنْ الإِعْجَازِ البَلاغِي فيها أيضًا عَدَمُ وُرُوْدِهَا بِصِيغَةٍ رُوتِينيَّةٍ واحدَةٍ، بَلْ نَـجِدُ فِيْهَا التَّنَوُّعَ في أساليبها، واختلافَ الأَشكَالِ التي تُصَاغُ مِنْهَا؛ كالتَّقديمِ والتَّأخيرِ، والذِّكْرِ والحَذْفِ، والأَمْرِ والنَّهْي، والاستثناءِ والقَصْرِ.. إلى غير ذلك من الأَسَالِيْبِ البَلَاغِيَّةِ.

٥-اِسْتَوْعَبَتْ الآيَاتُ كُلَّ جَوَانِبِ الصَّدَقَةِ؛ مِنْ حَيْثُ الكَمِّ والنَّوْعِ واَلْمُسْتَحِقِّين لَـهَا، وَآدَابِ إِخْرَاجِهَا، وَكُلِّ اَلْمُلَابَسَاتِ اَلْمُحِيْطَةِ بِـهَا. وَقَدْ جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ كُلِّ هَذَا إِمَّا بِشَكْلٍ ظَاهِرٍ أَوْ مُسْتَتِرٍ؛ يُـمْكِنُ الكَشْفُ عَنْهُ مِنْ خِلَالِ فَهْمِ التَّعْبِيرَاتِ، وَمَا تُوْحِي بِهِ مِنْ دَلَالَاتٍ. فَمَثَلاً:

أ- عُبِّر بـــ(ما) في قوله:**﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾**[البقرة:٢١٥]؛ لِلدِّلَالَةِ عَلَى كِمِيَّةِ الصَّدَقَةِ، فَلَمْ يَشْتَرِطْ أَنْ تَكُوْنَ الصَّدَقَةُ كثيرةً أم قليلةً، لكن اشترط فيها أَنْ تكون من الطَّيِّبَاتِ:﴿ **أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾**[البقرة:٢٦٧].

ب-وعدَّدَ الفِئَاتِ اَلْمُحْتَاجَة للإِنْفَاقِ، فَجَاءَ عَلَى ذِكْرِ كُلِّ مُـحْتَاجٍ،**﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** [البقرة:٢١٥]،ونبَّهَ عَلَى مَنْ خَفِي

حَالُهُ وَسُتِرَ عِلمُ النَّاس بِحَاجَتِهِ، فَأَمَرَ بِالبَحْثِ عَنْهُمْ وَالإِنْفَاق عَلِيْهِمْ لِسَدِّ حَاجَتِهِمْ، **﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة:٢٧٣]. وَحَثَّ حتى عَلَى الإِنْفَاق عَلَى غَيْرِ المُسْلِمِيْنَ: **﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾**[البقرة:٢٧٢].

ج-كذلك المَوَاقِفُ التي يَجِبُ فِيْهَا الإِنْفَاقُ:(في سَبِيْلِ الله)؛أيْ حِيْنَ يَحْتَاجُ جَيْشُ المُسْلِمِيْنَ المُجَاهِدُ في سَبِيْلِ الله، فَعَلَى المُسْلِمِ أيْضًا الإِنْفَاقُ:**﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾**[البقرة:١٩٥].وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أنَّ الآيَاتِ جَاءَتْ عَلَى ذِكْرِ كُلِّ الفِئَاتِ المُحْتَاجَةِ، بَلْ وَالمَوَاطِنِ التي يَجِبُ فِيْهَا بَذْلُ المَالِ وَالإِنْفَاقِ. وهذا لكي لا يبقى محتاجٌ في أَرْضِ الإِسْلَامِ، وليعيشَ المُسْلِمُ آمِنًا، فَبِنَفَقَتِهِ عَلَى جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ تَقوِيَةٌ لَهُمْ وَأَمَانٌ لَهُ.

د-وأتَى عَلَى ذِكْرِ آدَابِ الصَّدَقَةِ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ في آيَاتٍ عَدِيْدَةٍ؛ مِنْهَا:**﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[البقرة:٢٦٢]، وَبِشَكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، حِيْنَ قَالَ:**﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢١٥] تذييلاً، بعد بيان المُسْتَحَقِّين للنَّفَقَةِ مِنْ الوَالِدين والأقربين واليَتَامَى والمَسَاكِيْنَ وابْنِ السَّبيلِ. وكذلك قوله: **﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[البقرة:٢٧٣]، تذييلٌ جَاءَ بَعْدَ التَّنْبِيْهِ عَلَى البَحْثِ عَنْ المُحْتَاجِيْن المُتَعَفِّفِيْن لِسَدِّ حَاجَتِهِمْ.

وَهُنَا تَنْتَهِي جَوْلَتُنَا مَعَ (أسَالِيْبُ الحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي سُوْرَةِ البَقَرَةِ؛دراسةٌ بلاغيَّةٌ).. ولقد رأينَا كَمْ ألَحَّتْ الآيَاتُ في كِلَا المَبْحَثَيْنِ عَلَى البَذْلِ والعَطَاءِ في سَبِيْلِ الله، وَخَوَّفَتْ مِنْ اِسْتَجَابَ لِلأمْرِ الإِلَهي بِالإِنْفَاقِ مِنْ إحْبَاطِ عَمَلِهِ وَإِبْطَالِ أجْرِ نَفَقَتِهِ.. لَقَدْ حَثَّتْ كُلُّ تلك الآياتِ المُسْلِمَ عَلَى تَرْكِ البُخْلِ والاِتِّصَافِ بِصِفَاتِ المُتَّقِيْنَ الَّذين **﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [البقرة:٣].

إِذَنْ لَقَدْ اِنْتَهَى بِنَا التَّطْوَافُ في الآيَاتِ..رَغْمَ الشُّعُورِ بِالقُصُورِ..فَآيَاتُ الذِّكْرِ الحَكِيْمِ فِيْهَا مِنْ الإِعْجَازِ مَا يُعْجِزُ العَقْلَ البَشَرِيَّ عَنْ إدْرَاكِ كَافَّةِ أسْرَارِهِ، أوْ بُلُوْغِ مُنْتَهَاهُ..ولَكِن حَسْبِي أنِّي بَذَلْتُ جَهْدًا خَرَجَتْ مِنْهُ بِبَعْضِ الأَسْرَارِ، الَّتي أسْأَلُ اللهَ – تَعَالى – أنْ يَنْفَعَنِي بِهَا، وَيَنْفَعَ بِهَا كُلَّ قَارِئٍ، لِيَزْدَادَ الإِيْمَانُ في قُلُوبِنَا، وَنَقْتَرِبُ أكْثَرَ مِنْ فَهْمِ شَيْءٍ مِنْ الإِعْجَازِ الإِلَهي في هَذَا الكِتَابِ العَظِيْمِ.

ثَبْتُ اَلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِع

- القرآن الكريم .

١. **ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن،** تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٢. **ابن رشيق،** أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه،** تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل،بيروت، ط١٤٠١،٥هـ -١٩٨١م.

٣. **ابن عاشور،** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،** الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤م.

٤. **أبو موسى،** محمد محمد أبو موسى: **خصائص التراكيب،** دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة،القاهرة، ط٧.

٥. **الأندلسي،** أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي:**البحر المحيط في التفسير،** تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ.

٦. **البغوي،** محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي**: معالم التنزيل في تفسير القرآن،** تحقيق: محمد عبد الله النمر، وزميليه، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .

٧. **البيومي،** د. محمد رجب البيومي: **البيان القرآني،** الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، القاهرة.

٨. **الجرجاني،** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار: **أسرار البلاغة،** قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة .

٩. **الجرجاني،** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار: **دلائل الإعجاز في علم المعاني،** تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، بيروت.

١٠. **درويش،** محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط٤، ١٤١٥هـ ، حمص ، سورية.

١١. **الدمشقي**، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي: **البلاغة العربية**، دار القلم، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م، دمشق.

١٢. **الدينوري**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: **أدب الكتاب**، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة،بيروت.

١٣. **-الزجاج**، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق:عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م، بيروت .

١٤. **الزركشي**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي:**البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

١٥. **الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ، بيروت .

١٦. **الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧ م .

١٧. **الشوكاني**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ، دمشق، بيروت .

١٨. **شيخون**، د.محمود السيد شيخون، **الإعجاز في نظم القرآن**،المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة .

١٩. **الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطلبي: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٢٠. **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري: **الصناعتين (الكتابة والشعر)**، علّق على حواشيه وضبط نصَّهُ: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٨ م، بيروت، لبنان.

٢١. **العسكري،** أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري: **الفروق اللغوية،** تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢. **عوني،** حامد عوني – المنهاج الواضح للبلاغة – المكتبة الأزهرية للتراث.

٢٣. **الغرناطي،** أحمد بن الزبير الغرناطي: **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل،** تحقيق:د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ، بيروت .

٢٤. **قطب،** سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن،** دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٥. **قطب،** سيد قطب: **في ظلال القرآن،** دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢ هـ ، بيروت، القاهرة .

٢٦. **النيسابوري،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري: **أسباب النزول،** تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الدمام،السعودية.

٢٧. **الهاشمي،** أحمد بن إبراهيم مصطفى الهاشمي،**جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،** ضبط وتدقيق وتوثيق: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

- المواقع الالكترونية:

- موقع الكحيل للإعجاز العلمي: حقائق جديدة في إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة.

http://www.kaheel7.com